الأعلام من الأدباء والشعراء



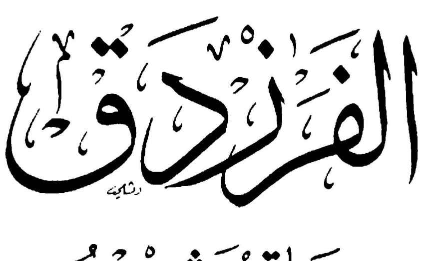
الفرزدق

حياته وشعره

إعداد
محمد رضا مروّة
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء



حياته وشعره

إعداد

محمد رضا مروّة

ماجستير في اللغة العربيّة وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حينما تبدأ بالكتابة عن الفرزدق، تشعر بتاريخ يسري في أعماقك. وتحس بعظمة العطاء، وكبرياء الإنسان الذي لم يقف أمام الأمور صلباً متصلباً، فكبا مع الريح حيناً، ثم ارتفع.

عظمته تكمن في غزارة عطائه. فهو الطارق لكل أغراض الشعر التي سادت في عصره، بل قل، هو عصر، أو إنّ العصر يتلخص فيه أو يكاد.

هو واحد من الثالوث الأموي، ممن طارت شهرتهم، وعبرت الأزمنة حتى عصرنا هذا، ويومنا هذا.

وحينما تبدأ بالكتابة عنه تجد أمامك قِمةً شامخة، علماً كلماته نار، حتى في الغزل والنسيب والرثاء. وتجده بركاناً في موضوعات الفخر والهجاء والمديح.

كيف نبدأ بالكتابة، والكتابة شاهد علينا؟ ومن أين نبدأ بشاعر لولاه «لضاع ثلث لغة العرب». ومع الصعوبة، سرنا، وكتبنا،

وحللنا. وكان الفرزدق صورة حية عن عصره.

إن اقتحام الماضي ليس هيناً، وأصعب ما فيه أن تقف أمام شاعر مثل الفرزدق. ومن خلاله تدخل إلى بيئته وعصره، حينها تمتلك في ذهنك الجغرافية والتاريخ.

إننا أمام نسيج للبيئة الأموية التي تمثلت فيها روح جديدة كادت أن تموت. ومع هذا النسيج تتلألأ أضواء الفكر. والمغريات كثيرة للدخول في متاهات الماضي. أهمها حب الكشف والاستطلاع. ولا ندعي لأنفسنا الريادة في هذا. بل كل ما عملناه هو نقطة في بحر الأدب الواسع. نقطة في خضم الحياة الفكرية المتلاطمة منذ القدم ولا تزال. إنه سعي نحو المستقبل، هدف للآتي، للقادم، مدماك في بناء الفكر، وكلمة في عالم الألفاظ. كلمة عن قِمّة، عن تاريخ وتراث، فهل حققنا الغاية؟.

هذا ما نتركه للقاريء الكريم علّه يكشف بنفسه حقيقة ما، فنكون وإياه على طريق الحقيقة التي نصبوا إليها في أعمالنا.

والله ولي التوفيق
محمد رضا مروة
يحمر - النبطية
١٩٨٨/١٠/٣٠

العصر الأموي

خصائص هذا العصر:

هو العصر الذي كانت فيه مقدرات الدولة الاسلامية في حوزة الأمويين بالشام، منذ تسلم معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة ٤١ هـ إلى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ.

ويختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام اختلافاً كبيراً، وفي مجالات كثيرة. إذ يعد انتقال الدولة الاسلامية إلى بني أمية انقلاباً سياسياً في تاريخ الإسلام، لأنها كانت أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين خلافة دينية، وصارت في أيامهم ملكاً عضوداً، وكانت شورية فصارت وراثية. وقام معاوية ينازع أعمام الرسول عليها وأبناء عمه كذلك، حتى استقام له الأمر بسبب دهائه وحنكته وسعة صدره، وأسس الدولة الأموية.

ويهمنا في هذا المقال ما آلت إليه الأحوال الاجتماعية والفكرية في تلك الفترة. وأول ما يبرز أمامنا:

١ ـ عودة الصراعات القبلية:

إنّ الإسلام كان قد قضى على العصبيات الجاهلية التي سادت بين القبائل. واجتمع العرب تحت اسم الإسلام، وكان هذا الاجتماع يشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين. حتى إذا جاء بنو أمية إلى الخلافة وقبضوا على زمامها، استبدوا بالحكم، وتعصبوا للعنصر العربي، وحافظوا على روح البداوة وتمسكوا بعاداتها. فبقيت خشونة البادية غالبة في حكومتهم، وظاهرة في سياستهم. وظهر جلياً تعصبهم لقريش وإيثار أهلها على سائر القبائل الأخرى. مما أدى إلى الحسد والتنافر بين القبائل التي كانت في الجاهلية، وضاع فضلها في الإسلام. وخصوصاً أهل البصرة والكوفة.

هذا التفريق الذي حصل بين قريش وسائر قبائل العرب، أدى إلى تعصب كافة العرب ضد قريش، حسداً منها، ولأنها استبدت بالسلطة دون سائر الصحابة والتابعين، إلاّ الذين استطاع معاوية أن يتألفهم من القبائل اليمنية والعدنانية. وبرز الخلاف منذ خلافة عثمان على يد سعيد بن العاص.

وتزايدت الفرقة بين الطرفين إلى أن ثبت الأنصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش. حتى اعتبر بعض المؤرخين أن معركة صفين سنة ٣٧ هـ التي جرت بين معاوية وعلي، هي

معركة بين قريش واليمنية الأنصار. وبقي الصراع محتدماً بين الطرفين حتى صار أكثر اليمنية شيعة علي وأنصاره.

لكن معاوية أدرك أنه لا يستطيع البقاء دون التقرب من بعض القبائل الأخرى، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها ـ بحدل ـ أم يزيد ابنه.

وبعد موت معاوية وابنه يزيد كان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة. واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم. ووقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية. وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية). وأنصار بني أمية من كلب (يمنية). واستتب الأمر بالنهاية لمروان بن الحكم. وجرت معركة مرج راهط بين أنصار مروان وأنصار ابن الزبير، أي بين كلب وقيس.

وبعد موت مروان انتقلت الخلافة إلى ابنه عبد الملك بن مروان. وانقسم الناس في سائر البلاد الإسلامية بين حزبين كبيرين: قيسية وكلبية، أو مضرية ويمنية، أو نزارية وقحطانية. وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس، وخراسان وأفريقيا.

هذا الخلاف بين القبائل العربية أدى إلى خلاف من نوع آخر أصعب وأشد، هو الخلاف بين العرب المسلمين وبين

المسلمين من غير العرب. إذ كان العربي في العصر الأموي يعتبر نفسه سيداً على سواه، ويعتقد انه خلق للسيادة أما الموالي والمسلمون من غير العرب فهم للخدمة. فأخذ العرب السيادة واشتغلوا بالسياسة، ولم يعنوا بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ، أما الحساب والكتابة فقد كانا من صنائع الموالي.

٢ ـ رواج الشعر:

كان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس، ومنزلة عظيمة عند الخلفاء والولاة ولا غرابة في ذلك لأن طبائع الأمويين كانت تستحبه، وسياسة العصر تعمل على رواجه وانتشاره. وأهم أسباب رواجه:

أ ـ العصبية القبلية: كانت سياسة بني أمية تقتضي استعداء القبائل بعضها على بعض، ولا يتحقق ذلك إلّا بالرجوع إلى عصبية الجاهلية التي كان الإسلام قد قضى عليها نسبياً. وأول من مشى في هذا الدرب معاوية ضد أبناء عمه. والانقسام الذي حصل بين بني أمية أنفسهم حين تولى الخلافة مروان بن الحكم. وبروز التيارات الدينية والأحزاب السياسية المطالبة بالخلافة خاصة في زمن يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان. وكانت ثورة الحسين بن علي، وخروج آل الزبير، والأزارقة، وسعيد بن الأشدق وغيرهم. وكان لكل خارج قبيلته وأنصاره من القبائل التي تضررت من سياسة الأمويين تنصره

وتقاتل معه. وكان الأمويون يستعينون بالشعراء لبث دعوتهم. فازداد الشعر نفوذاً وقوة، وكثر الشعراء في هذا العصر.

ب ـ سخاء بني أمية: كانت سياسة بني أمية تقتضي استرضاء الشعراء بالمال. فضلاً عن اضطرار الشاعر أو كثير من الشعراء إلى استرضاء الخلافة خوفاً منهم. وكان العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى أشياع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة التابعين. وكان للشعراء في هذا العصر رواتب مثلهم مثل الجند، عند هذا لم ير الشعراء بدأ من استرضاء بني أمية خوفاً من قطع أعطياتهم فضلاً عن الجوائز الكثيرة التي كان يقدمها الخليفة لمن أحسن وأجاد في المدح وهجاء الخارجين.

ج ـ رغبة بني أمية في الشعر: كان لبني أمية رغبة شديدة في إحياء لسان العرب، وذلك ناتج عن تكوينهم النفسي. وكان الخلفاء أهل علم وأدب، وكانوا يجيدون الشعر، ويحبون الاستماع إليه. ومما جاء على لسان معاوية أنه قال: «اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة إلاّ أبيات عمرو ابن الاطنابة:

أَبَتْ لي همتي وأبى بلائِي
وأخذي الحمدَ بالثمنِ الرَّبيحِ

وإقحامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المُشِيْحِ[1]
وقولي كلما جَشَأتْ وجاشتْ
مكانَك تحمدي أو تستريحي[2]
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ
وأحمي بَعْدُ عن غرضٍ صحيح

ويقول صاحب الأغاني إن «يزيد بن عبد الملك رد على الأحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله:

كريمُ قريشٍ حينَ يُنْسَبُ والذي
أقرّتْ له بالملك كهْلاً وأمردا

فطرب يزيد وقال: «ويحك من كريم قريش هذا؟» قالت: «أنت وقد قاله الأحوص وهو منفي». فكتب برده، وأنفذ له حللاً سنية وأدناه وقربه وقال له يوماً: «لو لم تمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلاّ بقولك:

وإني لأستحييكمُ إذ يقودني
إلى غيركم من سائر الناس مطمعُ

(١) الشيخ: الجاد في الأمر.
(٢) كلما جاشت وجشأت: أي كلما اضطربت نفسي من خوف أو جزع.

لكفاك ذلك عندنا».

وممّا جاء في الأغاني أيضاً أنّ عبد الملك بن مروان راسل عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذاك بمثله.

لم يقتصر حب الأدب والشعر على الخلفاء فقط، بل كان عمال الأمويين أيضاً أصحاب فن وذوق وخيال وحس وتذوق للشعر ولإنشاده. فالحجاج بن يوسف الذي كان أشد الولاة وطأة وقساوة، قيل إنه جيء بالأسرى بين يديه بعد حرب الأشعث، فأخذ بقتلهم، حتى صاح به رجل: «والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته» فقال له: «وكيف.. ويلك؟» قال: «لأن الله تعالى يقول: **﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾** «وقدقتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل» ثم قال: «أو امنن». فقال الحجاج: «ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت». ثم نادى برفع السيف، وأمن الناس.

وكان بنو أمية حفظة للشعر، وكانوا يعقدون مجالس البحث فيه والنقد له، والنظر في أجوده، وأصوبه، وكان مجلس هشام بن عبد الملك عامراً بهذه الندوات واللقاءات، وكذلك مجلس سليمان بن عبد الملك الذي جمع إليه الفرزدق وجرير

وكثيراً وابن الرقاع، وقال لهم: «أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، ففعلوا في حديث طويل».

والحقيقة أن الشعر كان مسيطراً على أحاسيس بعض الخلفاء. وكان ميلهم نحوه لا يوصف، وشغفهم به كبير لا يحد. ومنهم معاوية، وعبد الملك، وهشام، حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة. وكانت لهم عناية بالأدب والأدباء، والشعر والشعراء وخصوصاً عبد الملك.

ومما لا يجوز نسيانه أن الأدب لا ينمو ولا يرتقي إلّا بالعناية، تحت ظلال مسؤولين مدركين لأهمية الكلمة، وفي كنف محبين من الملوك والأمراء. وما النهضات الأدبية التي حدثت في عصور مختلفة إلّا نتيجة رعاية ملك أو أمير أو مسؤول لها.

٣ ـ الحركة العلمية والأدبية في البصرة والكوفة:

كان لاحتكاك العرب بغيرهم من شعوب الأمم المتحضرة أثر كبير في تطوير الحركة العلمية والأدبية في كل من البصرة والكوفة. وفي هذين القطرين اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم. وفيهما ولد النحو والعلوم اللسانية. وتكاثرت الأندية الأدبية هناك ولا سيما في أسواق تلك المدينتين. وأهمها:

أ ـ المربد: هو بمثابة سوق عكاظ بمكة. إذ أن العرب نقلوا معهم إلى البصرة والكوفة عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم

الجاهلية. وانقسموا قبائل وبطوناً، عرب اليمن، وعرب الحجاز. وأقاموا لهم الأسواق الأدبية على غرار ما كان في الجاهلية. وأشهر تلك الأسواق «المربد». في البصرة. وكان «المربد في العصر الأموي بمثابة عكاظ في الجاهلية، تألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة، ومجالس الأدب والعلم. فكان الشعراء يؤمونه ومعهم رواتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة، وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعي الإبل».

ب - **سوق الإبل**: لم يبلغ شأو المربد في الاجتماع والمناظرة به.

ومن العلوم التي نشأت في البصرة والكوفة، ونمت وتطورت تلك هي التي تدور حول النص القرآني، من فقه وتفسير، وحديث، ونحو. وبدأ علم التاريخ يبرز ويظهر لأهميته في العلم السياسي. فمعاوية بن أبي سفيان «كان يجلس لأصحاب الأخبار في كل ليلة بعد العشاء إلى ثلث الليل، فيقصون عليه من أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيتها وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكائدها. ثم ينام ثلث الليل ويقوم، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها، وقراءتها، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك، وأخبار الحروب ومكايدها وأنواع السياسة».

ميزات الشعر في العصر الاموي

الانسان ابن بيئته، وهو صنيعة الأقاليم. تتغير أطواره وآراؤه وأحاسيسه بتغير البيئة الطبيعية والفكرية المحيطة به، ويظهر هذا جلياً في نتاج الأدباء والشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي، عن أسلافهم الذين عاشوا البداوة في الجاهلية. وأهم ميزات الشعر في هذا العصر:

١ ـ خلوه من وحشي الكلام:

إنّ بلاغة الجاهلية بقيت في الشعر حتى في هذا العصر. أضف إلى ذلك سلامة اللغة وسلاستها، والابتعاد عن العجمة والركاكة واللحن وغير ذلك من عيوب الكلام التي برزت فيما بعد. وتأثر فن القول في العصر الأموي بأساليب القرآن الكريم، والحديث الشريف. فتخلص من وحشي الكلام، والغريب من التراكيب اللغوية، حتى ظهر وكأنه أفضل ممّا سبق، وأحسن مما سلف. ولا عجب في هذا لأن لكل عصر خصائصه ومميزاته.

٢ ـ كثرة الغزل والتشبيب:

كثر الغزل والتشبيب في هذا العصر، وذلك نتيجة طبيعية للحياة الجديدة التي ساد فيها اللهو، والجواري، والسبايا من بلاد الروم وفارس. وبدأ الشعراء يشببون بالنساء الجملات. وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجاً على حرمة الأدب «فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص. وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة إلاّ جلده».

وعندما انتقل الحكم إلى بني أمية، وانتقلت عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق، وكثر الاختلاط بالأعاجم، وأخذ العرب بأسباب الحضارة، وذهبت هيبة العفة من نفوسهم، كثر التشبيب بينهم خاصة في المدينة. لأنّ أهلها عاشوا في رغيد العيش بعدما أغرقهم معاوية بالهدايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الحكم والخلافة. ويعتبر إمام أهل النسيب والغزل في الاسلام ـ جميل بن معمر ـ الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان.

وهو الذي «وطأ النسيب للشعراء، فأكثر منه، وتفنن فيه». لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة. وهو بعرف أهل الأدب «إمام المحبين». وممن أجاد في هذا الفن ابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة.

٣ ـ المهاجاة بين الشعراء:

كثر الهجاء في العصر الأموي، وأجاد فيه شعراء كثيرون.

وسميت قصائدهم في هذا المجال ـ بالنقائض. الذي برز فيه الثالوث الأموي الأخطل وجرير والفرزدق. ومنه نشأ.

أ ـ الهجاء السياسي: وهذا الهجاء أصبح حاجة مهمة للولاة والأمراء، بسبب ما ساد المجتمع من انقسام بين القبائل والأحزاب المختلفة. واقتضت سياسة الأمويين ومصلحتهم أن يجددوا الضغائن، فكان شعراء البلاط الأموي يهجون الأنصار لأنهم أصحاب علي بن أبي طالب. والذي قاد هذا الهجوم هو الأخطل. فرد عليه شاعر الأنصار النعمان بن بشير. وتحولت المهاجاة بين الأنصار وقريش إلى المشاتمة بين بني هاشم وبني أمية.

ب ـ الهجاء الأدبي: إنّ الهجاء السياسي جر إلى الهجاء بين الشعراء بغض النظر عن الانتماءات السياسية والصراعات القبلية. وكان الغرض منه إثبات الذات الأدبية على الساحة. وأهم من صور هذا الهجاء «جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطبة العذري وتنافسا في أيهما أفضل أباً وحسباً». وهذا الضرب من الهجاء وجدناه في العصر الأموي بين شعراء النقائض: جرير والأخطل والفرزدق. وامتد هذا النوع من الهجاء حتى العصر العباسي وبرز بين «بشار بن برد وحماد».

٤ ـ الموالي والشعر:

لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالي إلاّ عبد بني

الحسحاس. أما في الإسلام «فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالي وهم المسلمون غير العرب» وفيهم الفرس والروم ممن دخلوا الإسلام.

٥ ـ الشعر السياسي، أو المديح للاستجداء:

كان المديح بأكثره مصدراً للتكسب والارتزاق. وأصبح الاستجداء عادة مألوفة. ونبغت فيه مجموعة كبيرة من الشعراء المداحين. وربما مدح الشاعر عدوين كما حصل عند الفرزدق إذ مدح بني هاشم وبني أمية.

٦ ـ الخمرة:

موضوع قديم في الشعر العربي، ولم يبرز كفن بحد ذاته إلاّ في العصر العباسي. لكن العصر الأموي كان البذرة والأرض الطيبة التي نما فيها هذا الفن إثر انغماس الأمويين في الترف واللهو. وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد، الخليفة الخليع السكير.

ونلاحظ أن الأمويين كانوا مهتمين باللغة العربية. حيث كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية لإتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم. وظلت العادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الأشعار في الأندية العامة. والحقيقة تقال أنه لم يبلغ العرب من العزم والسؤدد ما بلغوا إليه في أيام الدولة

الأموية. فقد تكاثروا على عهدها وانتشروا في ممالك الأرض، واتصلوا بشعوبها وتعرفوا على علومها وآدابها. ويمكننا القول بأن الأداب العربية ولدت في هذا العصر، الذي بدأ فيه نقل المعارف والعلوم والفلسفات من الحضارات الأجنبية إلى الحضارة العربية الاسلامية.

الفرزدق

٧٣٢ م - ١١٤ هـ(*)

حياته:

هو همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقّال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم من تميم.

لقب بالفرزدق لغلاظة وجهه وجهومته(١)، وكنيته أبو فراس، كانت ولادته في البصرة، ونشأته في باديتها، فشبّ خالص البداوة جافي الطباع، قوي الشكيمة، لا تلين قناته. وكان شديد التعلق بقومه وبمآثرهم، ومناقبهم، ممّا ملأ نفسه وأفعمها زهواً وكبراً، وفسح له في مجال الفخر على أقرانه، فباهى الناس بآبائه وجدوده.

(*) الفرزدق: الرغيف الضخم التي تجففه النساء للفتوت. وقيل بل هو القطعة من العجينة التي تبسط فيخبز منها الرغيف.

(١) الجهومة والجهامة: اجتماع الوجه وغلاظته وسماجته.

وكان أبوه غالب من أجود العرب وأكرمهم، وكنيته أبا الأخطل، وكان «سيّد بادية تميم وكان أعوراً».

وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر في الجاهلية، وهو الذي أحيا الوئيدة ويقال انه «اشترى ثلاثمائة وستين موؤودة كل موؤودة بناقتين وجمل. وفيه يقول الفرزدق:

وجَدّي الذي مَنَعَ الوائِداتِ
وأحيا الوئيدَ، فلم يوأدِ[1]

وأم الفرزدق ليلى بنت حابس، أخت الصحابي الأقرع بن حابس.

وكان له إخوة وأخوات. منهم هميم بن غالب، وسمي الفرزدق باسمه. وأخ يقال له الأخطل، أسنّ منه، وابنه محمد بن الأخطل، كان قد توجه مع عمّه الفرزدق إلى الشام فمات بها. وأخته يقال لها ـ جِعثِن ـ وكانت امرأة صدق.

تزوج من ابنة عمه النّوار. والدها أعْين بن ضُبيعة المجاشعي. وله معها قصة طويلة؛ إذ كان الفرزدق وليها، فخطبها رجل من

---

(١) منع الوائدات: أي منع النساء من وأد بناتهن، وهو دفن البنت حية حين ولادتها، الوئيد والوئيدة والموؤودة: البنت المدفونة حيّة. وقوله: لم يوأد بالتذكير: حملاً على اللفظ. وكان العرب في الجاهلية أكثر ما يئدون بناتهم في الجدب. ومنهم من يئدها تخلصاً من عار سبيها. وكانت كندة وتميم تئد بناتها.

دارم فرضيته وأرسلت إلى ابن عمّها أن يزوجها إياه، فقال الفرزدق: «لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوجتك». ففعلت، فلما توثق منها وقف في مسجد بني مجاشع بن دارم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «قد علمتم أن النّوار قد ولتني أمرها وأُشهدكم أني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء، سوداء الحدقة».

فنفرت منه وذهبت إلى مكة وفيها عبد الله بن الزبير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبّان الفزاري، فتبعها الفرزدق. ولما قدم مكة اشرأب الناس إليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشدوه ثم شفعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر حتى إذا صار إلى امرأته قلبته عن رأيه. فمال إلى النوار وأشار عليه بتطليقها فأبى وهجاه. وظلّ يرقبها حتى اصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ويحكما في أمرهما بني تميم. فلما صارا إلى البصرة، رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها، ومكثت عنده زماناً ترضى عنه حيناً، وتخاصمه أحياناً. ومكث الفرزدق زمناً لا يُولدُ فعيرته ـ النوار ـ بذلك. إلى أن أنجب منها بعد ذلك ـ لَبَطَة، وسَبَطَة ورَكَضَة، وزَمَعَة. واشتدت المخاصمة بينهما، وكثرت المشاكسات، وأراد إغاظتها فتزوج عليها حدراء[1] بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني. فخاصمته النوار وأخذت بلحيته

(١) الحدراء: الحولاء، أو من لها قرحة في باطن جفنها.

وقالت: «تزوجت أعرابية دقيقة الساقين على مائة بعير». فقال يفضل عليها حدراء:

لَعَمْري لأعْرَابِيّةٌ في مِظَلّةٍ
تَظَلّ بِرَوْقَي بيتها الريحُ تَخْفِقُ[1]
أحَبُّ إلينا من ضِناكٍ ضِفِنّةٍ
إذا وُضِعَتْ عليها المراوحُ تعرقُ[2]

ولم يطب للنوار عيش بعد هذا في كنف الفرزدق، فظلت تستلطفه حتى وافق على طلاقها بشرط ألّا تفارقه، ولا تبرح من منزله، ولا تتزوج رجلاً بعده، ولا تمنعه من مالها الذي كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل، وطلقها ثلاثاً. ثم ندم وتحسر. وله فيها شعر كثير منه:

ندمتُ ندامةَ الكُسَعيّ لمّا
غدَتْ مني مطلَّقةً نوار[3]

(١) الظلة: الخيمة. الروق والرواق: سقف في مقدم البيت. تخفق: تصوت عند هبوبها.

(٢) الضناك: المرأة المكتنزة الثقيلة الجسم. الضفنة: القصيرة الحمقاء في عظم خلق.

المراوح: جمع المروحة، يقول: يظل جسمها لضخامته يعرق إذا لم يروح له بالمراوح.

(٣) الكسعي: نسبة إلى كسع وهو حي باليمن أو من بني ثعلبة. ومنه غامد بن الحرث الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة؛ لأنه رمى حمراً ليلاً فكانت =

وكانت جنتي فخرجتُ منها
كآدم حين أخرجَهُ الضِّرار[1]
وكنت كفاقيء عينيه عمداً
فأصبح ما يُضيءُ له النهارُ[2]

وكان الفرزدق مِعَناً مِفَناً[3]. يقول في كل شيء، وسريع الجواب. فمر بقوم ولهم جنازة فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحب البغال. فقال:

لِيَبْكِ أبا الخنساء بَغْلٌ وبَغْلةٌ
ومِخلاةُ سوءٍ أُضيعَ شعيرها
ومِجْرَفَةٌ مَطْروحةٌ ومِحَسَّةٌ
ومِقْرَعَةٌ صَفْراءُ بالٍ سُيورُها[4]

وتنقل الروايات أن الفرزدق نظم الشعر صغيراً. فجاء به أبوه إلى الإمام علي وقال: «إنَّ ابني هذا من شعراء مُضر فاسمع منه» قال: «علمه القرآن».

= السهام تنفذ منها وتصدم الجبل فتوري ناراً. فظن أنه أخطأها جميعاً فحنق وكسر قوسه، ولما أصبح نظر فإذا الحمر مصروعة وأسهمه بالدم مضرجة فندم فقطع إبهامه.

(١) الضرار: المخالفة. من ضاره: خالفه. وأراد بذلك مخالفة آدم وصية الله.

(٢) عمداً: قصداً. ما يضيء: أي لا يضيء.

(٣) المعن: الخطيب الذي يدخل في كل شيء. المفن: الذي يفنن في كلامه أي يأتي فيه بالأفانين.

(٤) المحسة: آلة ينفض بها الغبار عن الدواب. المقرعة: السوط.

وكان ذا بديهة وذكاء نادرين. وممّا جاء في أخبار المؤرخين: «أن خلف بن خليفة، كان ظريفاً، شاعراً، راوية. وكان (أقطع). له أصابع من جُلود. فمرّ بالفرزدق يوماً فقال له: يا أبا فراس من الذي يقول:

هـو القينُ وابنُ القينِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ
لِفطحِ المساحي أو لِجذْلِ الأداهمِ[1]

قال الفرزدق: «يقول الذي يقول:

هـو اللص وابن اللصِ لا لصَّ مِثْلُهُ
لِنَقْبِ جدارٍ أو لسطر الدَّراهمِ[2]

وأتى حفصاً السَرَّاج يشتري منه سَرْجاً فمرت به امرأة جميلة، وفي يده سرج ينظر إليه. فألقى السرْج من يده وقال:

منع الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها
حَدَقٌ تُقَبِّلُها النِّساءُ مِراضُ[3]

خرجتْ إليكَ ولم تكن خراجةً
فأُصيبَ صدعُ فؤادِكَ المنهاضُ[4]

---

(١) فسح المساحي: بريها.

(٢) طر الدراهم: سلبها.

(٣) الحدق: العيون. المراض: التي فيها فتور.

(٤) المنهاض: المتكسر.

وكـأنَّ أفئـدةَ الـرجـال إذا رأوا
حَـدقَ النسـاءِ لـنبـلهـا الأغـراض(١)

وتنقـل الروايـات أن خـالـد بن صفوان، رآه يـوماً وكـان يمازحه فقال: «يا أبا فراس ما أنت بالذي لـمّا رأينه أكبرنه وقطعْنَ أيديهِنّ»(٢) قال: «ولا أنتَ يا أبا صفوان بالذي قالت الفتـاة فيه لأبيها: يا أبتِ استأجره إنّ خير من استأجرتَ القويُ الأمين»(٣)

وجاء عنبسة بن مَعْدان، إلى باب بلال، فرأى الفـرزدق وقد نعس فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبـا فراس، قـال: نعم ورأيت أباك ينتظرك.

تشيعه:

كان الفرزدق يتشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه. ويجاهر بحبه وولائه لهم. فإذا مدحهم تدفق شعره عاطفة وحماسة. فلا ترى فيه أثراً للتكلف. وخير دليل على صدق مـوالاته آل بيت النبي ﷺ قصيدته في زين العابدين. فهي من أبلغ الشعر وأخلصه عاطفة. أنشدها في وجه هشام بن عبد الملك. وسنأتي على ذكرها في باب المديح من هذه الدراسة.

---

(١) الأغراض: الأهداف.
(٢) سورة يوسف، الآية ٣١.
(٣) سورة القصص، الآية ٢٦.

اتصاله بالأمويين :

على أن تشيعه لم يمنعه من التقرب إلى الأمويين. فمدحهم رهبةً منهم أو رغبة في نوالهم. وأكثر مدائحه في سليمان بن عبد الملك. ولكنه لم ينل حظوة الأخطل عندهم، ولا قدر له أن يمدحهم بمثل ما مدح الأخطل الأمويين. فكان يتكلف المديح بين أيديهم. ويدعوه الخليفة أحياناً إلى مديحه، فيعمد إلى الافتخار بنفسه، لأنه ربما لم يستطع أن يسخر عاطفته وهواه. وهذا ما فعله في حضرة سليمان بن عبد الملك لما استنشده فيه أو في أبيه فأنشده مفتخراً عليه :

وركْبٍ كأنَّ الريح تطلُبُ عندهمْ
لها تِرَةً، من جذبها بالعصائبِ[١]
سروا يخبطونَ الليل وهي تَلِفُّهم
إلى شُعَبِ الاكوار، من كل جانب[٢]
إذا استوضحوا ناراً يقولون: ليتها
وقد خصرتْ أَيْدِيهِمُ نارُ غالب[٣]

فتبين غضب سليمان، وكان نُصَيْبٌ الشاعر حاضراً فأنشده

(١) الركب: المسافرون فوق الإبل. ترة: ثأراً. العصائب: العمائم.

(٢) سروا: ساروا ليلاً. يخبطون الليل: يسيرون فيه على غير هدى. شعب الأكوار: نواحيها.

(٣) استوضحوا: وضعوا أيديهم على عيونهم لينظروا الشيء البعيد. خصرت: بردت.

أبياتاً يمدحه بها. فقال الخليفة: «يا غلام أعط نصيباً خمس مائة دينار، وألحق الفرزدق بنار أبيه». فخرج الفرزدق غاضباً يقول:

وخير الشعر أكْرَمُهُ رجالاً
وشرُّ الشُّعْرِ ما قال العبيد[1]

ومدح عمال بني أمية ثم هجاهم. وهكذا فعل مع الحجاج ومع آل المهلب. لهذا التقلب لم يكن مقبولاً عندهم كما الأخطل.

الفرزدق الطريد:

وكان خبث لسانه وسلاطته يساعدان أولي الأمر على أذيته. فإذا هجا قوماً، أو نال من حرماتهم، استعدوا عليه السلطان، فيطارده فيفر من وجهه. حتى يقع بين يديه، فيحبس أو ينفى، ويكفي الناس شر لسانه ولو إلى حين.

ويحدثنا صاحب الأغاني: «أن الفرزدق كان يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم وكلاهما من دارم. فاستعدوا عليه زياد ابن أبيه وهو على البصرة من قِبَلِ معاوية. ففر الفرزدق إلى المدينة مستجيراً بعاملها سعيد بن العاص فأمنه. ثم ولي المدينة مروان بن الحكم. فعلم أن الفرزدق يشرب الخمر ويدخل إلى القيان، فدعاه وتوعده وقال: «اخرج عني». فعزم على

---

(١) كان نصيب مولى حيثياً لبني كعب فاشتراه عبد العزيز بن مروان، وهو شاعر مجيد. ويعرض الفرزدق به بقوله: وشر الشعر ما قال العبيد.

الشخوص إلى مكة. فكتب مروان إلى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بأن يصله بمائتي دينار. فارتاب الفرزدق بكتاب مروان فجاء إليه يقول:

مروانُ إنّ مطيتي معقولةٌ
ترجو الحباء وربُّها لم ييأسِ[1]
أتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ
يُخْشَى عليَّ بها حِبَاءُ النِّقْرِسِ[2]
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ لا تكنْ
نكداءَ مِثْلَ صحيفة المتلمس[3]

ثم رمى الصحيفة، فضحك مروان وقال: «ويحك إنك أُمّي لا تقرأ، فاذهب بها إلى مَنْ يقرؤها ثم ردها حتى أختمها. فذهب بها، فلما قرئت له إذا فيها جائزة فردها إلى مروان فختمها».

وبقي الفرزدق طريداً شريداً، هائماً في البلاد، بعيداً عن موطنه ـ البصرة ـ وعن أهله وعشيرته حتى هلك زياد.

جبنه:

كان الفرزدق جباناً حسب قول الروايات. وهذا متأصل فيه رغم

---

(١) مطيتي: دابتي. معقولة: محبوسة. الحباء: العطاء. ربها: صاحبها.

(٢) النقرس: ورم في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

(٣) قوله: لا تكن، مجزوم بجواب الأمر وهي بمعنى لئلا تكون ولا حرف نفي. وصحيفة المتلمس مشهورة في تاريخ الأدب العربي. وكان ضحيتها طرفة بن العبد.

إعجابه بنفسه ومباهاته بأصله. ووقف قتاله في الحياة بلسانه فقط وكان عنده أمضى من السيف، وأحدّ من الخنجر. وكان خصومه يتخذون من جبنه ذريعة للتندر عليه. وله معهم أخبار كثيرة منها التي رواها أبو عبيدة عن رؤبة بن العجاج قال: «حجّ سليمان بن عبد الملك وحجت الشعراء معه، فلما جاء المدينة تلقوه بنحو أربع مائة أسير من الروم فقعد يدفعهم إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم. حتى وقع إلى جرير رجل منهم فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضربه فأبان رأسه. ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً، فدسوا إليه سيفاً كليلاً فضرب الأسير فلم يصنع شيئاً، فضحك القوم به ومن سوء ضربته، وشمت بنو عبس فغضب الفرزدق وأنشأ يقول:

إن يكُ سيف خان أو قَدَرٌ أبى
لتأخير نفس حَتْفُها غَيْرُ شاهِدِ[1]

فسيفُ بني عبسٍ، وقد ضربوا به
نَبا بيدَي وَرْقَاءَ عن رأس خالد[2]

---

(١) الحتف: الموت. شاهد: حاضر. يقول: أبى القدر أن يقطع السيف ليؤخر موت نفس لم يحضر أجلها بعد.

(٢) نبا السيف: إذا لم يقطع. ورقاء: هو ابن زهير بن جذيمة العبسي رأى والده تحت صدر خالد بن جعفر بن كلاب، وخالد مكب عليه. فجاء ورقاء لإنقاذ والده فضرب خالداً ضربات فلم يصنع شيئاً وقتل والده.

كـذاك سيـوفُ الهنـدِ تنبـو ظُبـاتُهـا
ويَقْـطَعنَ أحيانـاً مناطَ القـلائـدِ[1]

وقال أيضاً:

أيعجبُ النـاس ان أضحَكتُ خيـرهُـمُ
خـليفـةُ الله يـستسقى بـه المـطَرُ[2]
لـم يَنْـبُ سيفـي مـن رُعْـبٍ ولا دَهَش
عَـنِ الأسيـرِ ولـكِـنْ أخّـر القـدر[3]
ولـن يُقـدِّمَ نـفسـاً، قـبـل مُـدَّتـهـا
جَمـعُ اليدين ولا الصمصـامة الـذكـر[4]

ثم مضى وهو يقول:

مـا إنْ يُـعـابُ سـيـدٌ إذا صَـبـا
ولا يُـعـابُ صـارمٌ إذا نـبـا
ولا يُعابُ شاعرٌ إذا كبا[5]

---

(١) سيوف الهند: أي المصنوعة في الهند. الظبات: جمع الظبة وهي حد السيف. مناط القلائد: كناية عن الأعناق.

(٢) خيرهم: أي سليمان.

(٣) الدهش: الحيرة والذهول.

(٤) الصمصامة: السيف القاطع. الذكر: السيف اليابس الصلب. جمع اليدين: أي الأسر والاعتقال.

(٥) صبا: إذا صبت نفسه ومالت. كبا: سقط على وجهه.

فشمت به جرير إثر هذه الحادثة. وعيّره بقوله:

بسيفِ أبي رغوانَ سَيْفِ مُجاشعٍ
ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسيف ابنِ ظالم[1]

ضربتَ به عند الإمامِ فأُرعِشَتْ
يَداكَ، وقالوا: مُحدَثٌ غيرُ صارمِ[2]

فرد عليه الفرزدق بقوله:

ولا نقتلُ الأسرى، ولكن نفكُّهمْ
إذا أثقلَ الأعناقَ حَمْلُ المغارمِ[3]

فَهَلْ ضربةُ الرومي جاعلةٌ لكم
أباً عن كليبٍ، أو أباً مثلَ دارم؟[4]

---

(١) يقول: إنّ السيف الذي ضربت به لم يتعود القطع لأنه سيف بني مجاشع بن دارم الجبناء لا سيف الحرث بن ظالم المري. وكان الحرث من فتاك العرب فتك بخالد بن جعفر وهو إذ ذاك نازل على النعمان بن المنذر. وبنو مرة وبنو عبس أبناء أعمام كلهم من غطفان. يرد جرير على الفرزدق لتعييره بني عبس بسيف ورقاء فيشير إلى سيف الحرث بن ظالم تنبيهاً على أن بني عبس أدركوا ثأرهم من خالد بن جعفر قاتل زهير.

(٢) الإمام: الخليفة، أرعشت: ارتعدت من الخوف. محدث: حديث العهد بحمل السيوف. غير صارم: غير قاطع.

(٣) المغارم: جمع المغرم وهي الغرامة. يقول: نحن نفك الأسرى إذ عجزوا عن دفع الغرامة ليفتدوا أنفسهم.

(٤) كليب: قبيلة جرير. وقوله: أباً عن كليب: عوضاً عنه.

موته:

وفي آخر أيامه أصابته الدُّبَيْلَة[1]، فقدم به إلى البصرة، وأتي بطبيب فسقاه قاراً أبيض، فجعل يقول: «أتعجلون لي النار في الدنيا» ومات وقد قارب المئة. وقيل له في مرضه الذي مات فيه اذكر الله، فسكت طويلاً ثم قال:

إلى من تفزعون إذا حَشَوتُمْ
بأيديكُمْ عليَّ من التُّرابِ[2]

ومنْ هذا يقوم لَكُم مقامي
إذا ما الرِّيقُ غصَّ بذي الشراب[3]

فقالت له مولاة له، نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية وكان قد أوصى لها بمائة درهم».

ويحدثنا صاحب الأغاني: «أن لَبَطَة بن الفرزدق قال: إنّ أباه أصابته ذاتُ الجنب، فكانت سبب وفاته، ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلوه في قدح وسقوه إياه. فقال: يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار».

---

(١) الدبيلة: دمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها.

(٢) تفزعون : تلجأون وتستغيثون. حثوتم: صببتم. حثا التراب على الميت: صبّه عليه ليواريه.

(٣) يعني من يكون لأهله بعده.

وكانت وفاته في ولاية هشام بن عبد الملك. ومات قبل جرير، فلمّا بلغ جريراً موته قال:

هلكَ الفرزدقُ بعدما جدّعْتُهُ
ليتَ الفرزدقَ كان عاش طويلا

ثم أطرق طويلاً وبكى. فقيل له: يا أبا حَزرة ما أبكاك. قال: بكيت لنفسي إنه والله قلّ ما كان اثنان أو مصطحبان أو زوجان، إلاّ كان أمد ما بينهما قريباً. ثم أنشأ يقول راثياً الفرزدق:

فُجعنا بحمّال الدّياتِ ابن غالبٍ
وحامي تميم عِرْضها والبراجمِ[1]
بكيناكَ حِدْثان الفراقِ وإنّما
بكيناك إذ نابتْ أمورُ العظائم
فلا حملتْ بعد ابن ليلى مهيرةً
ولا شُدَّ أنساعُ المطِيِّ الرَّواسم[2]

آثاره:

ترك الفرزدق ديوانه الذي طبع، وأكثره في المدح والفخر والهجاء. وهناك الغزل القليل الذي لا يصل فيه إلى مرتبة جرير. وأهم ما يلفت النظر في شعره تلك النقائض التي حصلت بينه وبين

(١) البراجم: مفاصل الأصابع.
(٢) النسع: نوع من الجلد عريض تشد به الرحال. الرواسم: الجمال السائرة.

جرير. وقد طبعت النقائض في ليدن فجاءت في مجلدين ضخمين. وهو في شعره يكثر من القصائد القصيرة. وهناك القصائد الطويلة وأهمها التي مطلعها:

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ
وأنكرتَ من حدراءَ ما كنتَ تعرفُ[1]

وكما ورد أنه كان يكثر من القصائد القصيرة، ويفضلها على الطويلة، فسئل يوماً: «ما بال قصارك أكثر من طوالك؟» فأجاب «لأني رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجول».

منزلته:

عدّه ابن سلام في الطبقة الأولى من الإسلاميين، وقدمه في الذكر على جرير والأخطل. وقال: «كان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة». وقال جرير: «الفرزدق نبعة الشعر[2]».

وقال أبو عبيدة: «كان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير» وقال أيضاً «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».

وقال أبو الفرج الأصفهاني: «والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحله في الشعر أكبر من أن يُنبَّه

---

(١) عزفت: رجعت عن باطلك. أعشاش: اسم موضع. حدراء: زوجه.
(٢) النبعة: شجرة من أجود الشجر وأصلبه.

عليه بقول، أو يُدل على مكانه بوصف. أما من يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً».

وقال الفرزدق: «قد علم الناس أني أفحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت.». وقال مالك بن الأخطل: «جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر».

وسئل ابن داب عن رأيه في جرير والفرزدق، فقال: «الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة».

وعطفاً على قول مالك بن الأخطل «جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر» فإنه في هذا يصف قوة وصلابة شعر الفرزدق، وخشونة ألفاظه. وفي كلام الفرزدق عن نفسه ما يعلمنا أن الشعر كان يعصيه أحياناً، ولا يأتيه إلا بعد تعب ونحت. والشعر المنحوت يكثر فيه التكلف اللفظي ويقل الطبع. وقد أفرط الفرزدق باستعمال الوحشي من الكلام حتى قال فيه أبو عبيدة: «ولولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».. وهذا الوحشي في شعره شيء من طبعه الذي تطبع به في بادية قاسية. وشعره صفحة عن واقعه، فيه كثير من أيام العرب، وعاداتهم وأخلاقهم.

ومنزلة الفرزدق قائمة على ما حدث بينه وبين جرير، وعلى

النقائض بالتحديد. فإن مهاجاته لجرير جعلت الناس في صدر الإسلام ينقسمون حزبيين: حزباً فرزدقياً، وآخر جريرياً. وكان كل فريق يعمل لصالح شاعره، ويتعصب له، ويفضله على أقرانه، حتى بلغ من أحد الفرزدقيين أنه عقد جائزة قيمتها أربعة آلاف درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير. ومع هذا كله فإنه لم يبلغ شأو الأخطل في المدح إلاّ أنه تجاوزه وتجاوز جرير في الفخر. ووقف أربعين سنة أمام جرير في الهجاء. لكنه لم يرق منزلته بالغزل والرثاء. وذلك ناتج عن تكوينه الصحراوي، إذ تصلبت عاطفته وكادت أن تيبس أحاسيسه.

ومما يروى عنه أنه اشتهر وأكثر من سرقة الشعر، فكان لا يسمع بيتاً عائراً[١] إلاّ قال لصاحبه: «لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك». فيتركه له خوفاً من لسانه. فينتحله الفرزدق ويدمجه في شعره. وكان يقول: «خير السرقة ما لا يجب فيه القطع[٢]».

ويروي صاحب الأغاني: «أن الفرزدق مرّ يوماً بالشَّمَرْذل وهو ينشد قصيدة حتى بلغ إلى قوله:

وما بينَ مَنْ لم يُعْطِ سمعاً وطاعةً
وبين تميمٍ غيرُ حَزِّ الغَلاصِمِ[٣]

(١) العائر: السائر بين الناس.

(٢) القطع: أي قطع اليد. وكان السارق تقطع يده عملاً بالشرع الإسلامي.

(٣) الغلاصم: جمع الغلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم. يقول بين تميم ومن يعصيها حزّ الأعناق.

فقال: «والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك». قال: «خذه على كره مني». فأخذه الفرزدق ووضعه في إحدى قصائده.

ومرّ بابن ميّادة وهو ينشد:

لو أنّ جميع الناس كانوا بِرَبوةٍ
وجئتُ بجدّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ[1]
لظلتْ رقابُ الناس خاضعةً لنا
سُجُوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال: «أما والله يا ابن الفارسية لتَدَعَنّهُ لي أو لأنبشنّ أمك من قبرها» فقال له ابن ميادة: «خذه لا بارك الله لك فيه».

وبالرغم عن هذا فإن فضله على الشعر كبير، لا يقل عن فضل صاحبيه الأخطل وجرير.

---

(١) الربوة: ما ارتفع من الأرض قليلاً.

أغراضه الشعرية

١ ـ الهجاء .
٢ ـ الفخر .
٣ ـ المديح .
٤ ـ الغزل والنسيب .
٥ ـ الرثاء .
٦ ـ الزهد .
٧ ـ نقده .

الهجاء والفخر عند الفرزدق:

إنّ أول ما يلفت النظر في ديوان الفرزدق، تلك الكمية الهائلة من القصائد الهجائية. ولا عجب في ذلك لأن حرب الهجاء التي دارت بينه وبين جرير والتي استمرت أربعين سنة، أسفرت عن نتاج كبير في هذا الغرض.

والسبب في تهاجي الفرزدق وجرير أنّ شاعراً من بني يربوع يقال له غسان السليطي هجا جريراً فرد عليه جرير فأخزاه. فشكا آل يربوع إلى البعيث المجاشعي قهر جرير صاحبهم. فجعل البعيث يقول: «وجدنا الشرف والشعر في بني النوار بنت مجاشع». فبلغ ذلك جريراً فهجا البعيث وقومه، فجاء البعيث إلى بني الخَطَفي رهط جرير، وقال: «يا قوم عَجِلْتُم عليّ. فقالوا: بلغنا عنك أمر فإن شئت قلت كما قلنا، وإن شئت صَفَحْتَ؛ فقال: بل أصفح» فأقام مجاوراً لهم ثلاث سنوات ثم إنّه

فارقهم راضياً. فقدم على ناس من بني مجاشع فسألوه عن بني الخطفي فأثنى عليهم خيراً، فقال رجل منهم: «لَحُسْنَ ما جازيتهم على الذي قالوا لك». ثم أنشده قول جرير فيه، ولم يزالوا به حتى أغضبوه فهجا بني كليب، فقالت بنو كليب لعطاء بن الخطفي: «اركب إلى بني مجاشع واستنههم من أنفسهم فقد قالوا كما قيل لهم». فأتاهم عطاء فقال: «أي بني مجاشع الأخوة والعشيرة، وقد قلتم كما قيل لكم فانتهوا عنّا». فأبى البعيث إلاّ هجاءهم، فلحم الهجاء بين البعيث وجرير فسقط غسان. ثم استطال جرير وأفحش القول في نساء مجاشع. فضج البعيث إلى الفرزدق وهو يومئذٍ بالبصرة وقد قيّد نفسه وآلى ألاّ يفك قيده حتى يقرأ القرآن.

وأقبلت عليه نساء مجاشع وقلن له: «قبّح الله قيدك وقد هتك جرير عورات نسائك فلُحيت شاعر قوم» فأحفظنه ففض قيده وقال:

ألا استهـزأتْ مـني هُـنَـيْـدةُ أنْ رأتْ
أسيراً يُداني خَـطْوَهُ حَلَقُ الحِجلِ[1]
ولـو عَـلِمَـتْ أنّ الـوثـاق أشَـدُّهُ
إلى النـار قالتْ لي مَقَـالَةَ ذي عقـلِ[2]

---

(١) هنيدة: هي امرأة الزبرقان بن بدر ابن عمة الرسول، وزوجته هذه كانت عمة الفرزدق. الحجل: يعني به القيد.

(٢) يقول إنها سخرت منه إذ رأته مقيداً والقيد في قدميه.

لَعَمْـرِي لئنْ قَيَّـدْتُ نفسـي لـطالمـا
سَعَيْتُ وأوضعتُ المَـطِيَّـةَ للجهــلِ (١)

أتـتـنـي أحــاديـث الــبـعــيـث وَدُونَـهُ
زَرُوْدٌ فشـامـات الشَّقِيْقِ إلى الـرمـلِ (٢)

فـقـلـتُ أظَـنَّ ابـنُ الـخـبـيـثـةِ أنَّـنـي
شُغِلْتُ عَنِ الـرامِي الكِنَـانَـةَ بـالنَّبْـلِ (٣)

فــإن يـكُ قيــدي كـان نــذراً نـذرتُـهُ
فما بي عن أحساب قـومي من شغلِ (٤)

أنــا الضــامنُ الــراعي عليهمْ، وإنَّمــا
يُــدافـعُ عنْ أحســابِهِمْ أنــا أو مثلي (٥)

فمهمــا أعِشْ لا يُضمنُــوني ولا أُضَــعْ
لهم حَسَباً مـا حــركتْ قـدمي نعلي (٦)

---

(١) يعني به أنه كان يتلو القرآن لأنه يخشى يوم الدين. وإن أوثق شيء بالمرء نار جهنم وهي تلصق به ولا تغادره.

(٢) البعيث: هو البعيث المجاشعي، وهو شاعر خذله جرير.

(٣) يقول إنه عرف أنني قيدت نفسي، فتوهم أنني أهملت قومي.

(٤) يعني بقوله أنه نذر نذراً حتى يتم قراءة القرآن، ولكنه لا يُشْغل عن الذب عن أحساب قومه.

(٥) يقول إنه هو من يحميهم أو يدافع عنهم أو من كان مثله.

(٦) يقول إنهم لا يدفعونني إلى الدفاع عنهم، كما إنه لن يتخلف عن حمايتهم ما دام قادراً على السعي.

ولستُ إذا ثــار الـغبــار عـلى أمــريء
غـداة الرهـان بـالبـطيء ولا الـوغـلِ [1]
ولكنْ تُـرى لي غـايــة المجـد ســابقاً
إذا الخيلُ قادتها الجيادُ مـع الفحلِ [2]

يبدأ قصيدتـه بمطلع وجداني، وكأنه أحس بما أصاب نساء قومه. فأتينه مستهزآت به، لأنه لم يرفع صوته ويرد على جرير. وهو الذي كان قد قيد نفسه تخفيفاً لنذر قد قطعه على نفسه وهو قراءة القرآن. ولكن عندما أتته أخبار البعيث وما فعل به جرير، قام ورد على جرير، الذي يعرف أن الفرزدق قيد نفسه لقراءة القرآن، وعليه ألّا يتوهم أنني أهملت قومي وعشيرتي، والمـدافعة عن أحسـابهم، وأنه هـو من يحميهم ويدافـع عنهم، ويكون ذلـك بـاختياره، لا أحـد يدفعـه إلى ذلك. كمـا وإنه لن يتخلف عن حمايتهم ما دام قادراً على السعي، وأنه لا يخشى المعارك وغبار القتال والسباق إلى المعمعة، ولا يجبن عن التعرض لمن يناوئه. وهو فارس قدير، ويستطيع أن يسبق الخيل، ويدرك غاياته ومراميه التي نذر نفسه من أجلها.

ومن أخباره أنه هجا البعيث نفسه لعجـزه عن مقاومـة جريـر

(١) الوغل: الضعيف. الرهان: السباق. يقول: إنه لا يخشى غبار القتال والسباق وإنه لا يجبن عن التعرض لمن يناوئه.

(٢) يعني أنه يسبق الخيل كلها ويدرك الغاية من دونها.

فسقط البعيث. قال ابن سلام: «ولجّ الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من أربعين سنة لم يغلب واحد منهما على صاحبه، ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا في الإسلام بمثل ما تهاجيا به.».

ومن هجائه لجرير قوله(*):

غـرَّ كليبـاً، إذ اصفـرتْ مَعَـالقهـا
بِضَيْغُمِيّ كَـرِيـهِ الـوجْـه والأثـرِ[1]

شـربُ الرثيئـة حتى بـات مُنكَـرِسـاً
على عَـطِيّـةَ بين الشـاء والـحجـرِ[2]

وَرْدُ الـسَّـرَاةِ تـرى سـوداً مَـلاَغِمُـهُ
مُجـاهـرُ القـرنِ لا يَكْتَنُّ بـالخَمَـرِ[3]

كـأنّ عـينيـه والـظلمـاءُ مُسْـدِفَـةٌ
على فَـرِيسَتِـهِ، نـاران من حَـجَـرِ[4]

(*) الديوان ـ ص ٤٨٩.

(١) المعالق: قدح اللبن. واصفراره كناية عن السمن والخصب. الضيغمي: الأسد وهو هنا الفرزدق.

(٢) الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو. المتكرس: المتجمع. عطية: والد جرير.
يعيره بشرب والده الحليب ورعيه الأغنام.

(٣) وردالسراة: أحمر الظهر. الملاغم: الأنف. يكتن: يستتر. الخمر: الشجر المظل والمخفي.

(٤) يقول: إن عيني الأسد تلتمعان في الليل على الفريسة كالنار.

كأنّ عطّارةً باتت تعُلّ لَهُ
بالزعفران ذِرَاعي مُخدِرٍ هَصِرِ[1]
تُشْلي كلابَكَ والأذنابُ شائلةٌ
إلى قُرومٍ عظامِ الهامِ والقصَرِ[2]
ما تأمرون عِبادَ اللهِ أسألكمْ
بشاعرٍ حَولَهُ دُرْجانِ مُخْتَمِرِ[3]
لئن طَلَبْتُمْ به ثاري لقدْ عَلِمَتْ
أني على العَقْبِ خَرّاجٌ مِنَ القَتَرِ[4]
ولا يحامي عن الأحسابِ مُنْفَلِقٌ
مُقَنّعٌ حينَ يُلْقَى فاترُ النظرِ[5]

إنه يهجو جريراً بأبيه عطية، ويعيره بأن والده يشرب الحليب، ويرعى الغنم. ويصف نفسه بالأسد الهصور، أسد أحمر الوجه، يتصدى للخُصوم ولا يختبيء بين الأشجار. وعيناه تلمعان في الليل على فريسته فتخالهما كالنار في وسط الظلمة، وذلك دليل قوة وبأس. ويشيد بنفسه وقوته حتى أصبحت يداه مخضبتان بالدم

---

(١) يقول: إن يديه مخضبتان أبداً بالدم، وكأنما صبغتهما له عطارة.

(٢) يعني بقوله أنه يبعث كلابه لهجاء قوم أسيادٍ كبار الهامات. القصر: الأعناق.

(٣) الدرجان: جمع الدرج، وهو وعاء طيب عند المرأة. المختمر: لابس لباس المرأة.

(٤) العقب: الجري بعد الجري. القتر: غبار القتال.

(٥) يصفه بصفات المرأة المحجبة، وأنه فاتر اللحاظ كالنساء أو المخنثين.

وكأنما صبغتهما له عطارة. وهو بهذه القوة والمركزة لا يتضع ويهاجي جريراً، بل إن كلابه قادرة على هجاء أسياد القوم وكبار الهامات. وهنا تحقير لاذع. ويصفه بامرأة وضعت خمارها عليها وبعدت عن الناس، وهي ذات صفات قبيحة. ألحاظها فاترة، وهي مخنثة. وكل هذه الصفات ألصقها بجرير.

فالهجاء صفة لازمت شعر الفرزدق. وإذا أراد أن يهجو وضع نفسه في مرتبة يتضاءل دونها خصمه. وشرع بعدّ مفاخر قومه، ويذكر مالهم من الأيام وما هم عليه من كرم وخير، ونجدة وإباء. وكان له من شرف قبيلته ومآثر أبائه، ما فسح له في مجال الفخر والاستعلاء. وهو على شدة إعجابه بقومه لا يغفل عن الافتخار بنفسه ـ كما لاحظنا في القصيدة السابقة ـ فهو الأسد، وحامي الديار، ومستجيب دعوة الملهوفات من النساء. وهجاؤه مرٌّ علقم لا ينتهي إلّا بالشتيمة والسباب، ونشر الأعراض والمخازي للمهجو ولقبيلته. وهنا يتحقق عنده شرطان من شروط الهجاء: الهجاء الفردي، والهجاء الجماعي. وطبعاً لا يتحقق هذا إلّا بالألفاظ الجافة الفاحشة، والأخبار الشائنة الناشزة. حتى ليصبح شعره بؤرة فجور وفساد. ونرى هذا في قوله:

لولا فوارسُ تغلِبَ ابْنَةِ وائلٍ
نزل العَدُوّ عليكَ كلَّ مكانِ[1]

---

(١) تغلب ابنة وائل بإعادة الصفة إلى القبيلة. وتغلب بن وائل بإعادتها على الأب.

حبسـوا ابن قيصرَ وابتنـوا بـرمـاحهم
يـومَ الكُـلابِ كـأفضـلِ البنيـانِ[1]
قـومٌ هُـمُ قـتـلوا ابـن هـنـدٍ عَـنْـوَةً
عَمْـراً، وهُمْ قسـطوا على النعمـانِ[2]
إنّ الأراقِـمَ لـن يـنـالَ قـديـمَـهـا
كـلبٌ عـوى، مُتَـهَـتّـمُ الأسـنـان[3]

فعلى هذا النحو كان هجاء الفرزدق لجرير وافتخاره عليه. إنه يمزق عرضه وأعراض بني كليب أجمعين، ذاكراً سوءاتهم، فاضحاً نساءهم، معدداً انكساراتهم وله في ذلك أسلوب خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه، فهو لا يستطيع أن ينكر أن كليباً من تميم وأنهم أبناء عمه على الرغم منه، ولكنه يجعلهم أذل بني تميم وأحقرهم وأخسهم وأجبنهم، ثم يجعلهم يتطاولون إلى دارم وينتحلون نسبها. ودارم تردهم عنها. وإذا افتخر بأيام بني تميم جعل الفضل فيها لبني دارم، وإذا ذكر ما عليها من الأيام حصر مخازيها ببني كليب. فجماعة جرير عند الفرزدق أعجز من أن يطاولوا دارماً، ويصلوا إلى مستواها.

---

(١) حبسوه: أي ردوه عن أن يبلغكم، وابتنوا: بنوا شرفاً. الكلاب: ماء لبني تميم وفيه كان يوم الكلاب وهو لتغلب على تميم.

(٢) عمرو بن هند ملك العراق، قتله عمرو بن كلثوم التغلبي. عنوة: اقتداراً.

(٣) الأراقم: حي من تغلب. قديمها: حسبها القديم. متهتم: متكسر أي هرم فذهبت أسنانه.

ومن فخره بقومه هذه الأبيات:

لنــا عَــدَدٌ يُــربي على عَــدَدِ الحَـصَى
وَيُضْعِفُ أضعافاً كثيـراً عَـذِيْـرُهـا[1]

ومـا حُـمِّلَتْ أضْـغَـانُـنَـا مـن قـبيلةٍ
فَتَحمِـلَ مـا يُلقَى عليهـا ظُهُـورُهـا

إذا مـا التقـى الأحيـاءُ ثـم تفـاخـروا
تقـاصـر عنـد الحنظلي فُخُـورُهـا[2]

وإنْ عُـدّتِ الأحسـابُ يـومـاً وجـدتها
يـصيـرُوا إلـى حَـيّ تميم نـفـورهـا

تـميـمُ هُـمُ قـومـي فـلا تَـعْـدِلَنّهُـمْ
بحـيّ إذا اعتـز الأمـورَ كبيـرهـا[3]

هُمُ معقـل العِـزّ الـذي يـتـقـى بـه
ضـراس العِدى والحـربُ تغلي قدورها

مـلوك تـسـوس الـمسلمين وغيـرهُـمْ
إذا أنكـرتْ كـانتْ شـديـداً نكيـرهـا

ورثـنـا كـتـاب الله والـكـعبـةَ الـتي
بمكـةَ محجـوبـاً عليهـا سُتـورُهـا

---

(١) العذير: النصير.

(٢) الحنظلي: نسبة إلى حنظلة وهي أكرم قبيلة في بني تميم.

(٣) اعتز الأمور: غلبها في العز.

وأفضـــل من يمشي على الأرض حُيَّنا
وما ضَمِنَتْ في الـذاهبينَ قبُـورهـا
لنــا دونَ من تَـحْتَ الـسمـاءِ عَـلَيْهُـمُ
مِنَ النـاسِ طُـرّاً شمسُهـا وبـدورهـا
ولــو أن أرض المسـلميـن يحـوطُـهُـا
سـوانـا من الأحيـاء ضـاعتْ ثغـورهـا.

إنـه معجب بأصله وقـومه. بهم يتفـاخـر، وبهم يعلو فـوق الناس. فهـم بنظره قوة أساسية بدونها لا ركيزة للإسلام. فعددهم لا يحصى، فكيف إذا أضيـف إليهم الأحـلاف والأنصار. وهم الشـرف والكـرم، والنسب والحسب. وهـم الجــود ومنهـم الحنـظلي ـ نسبة إلى حنـظلة وهي أكرم وأجـود قبيلة في بني تميم. كل هذه الصفات الحميدة تجسدت بقومه وعشيرته. فتاه زهواً وكبراً، وارتفع فوق كل القبائل، لأن تميم قبيلته تملك العزّ ولا أحد يستطيع أن يغلبها بالصفات الحميدة التي شكلت لديها إرثاً يتوارثه الأبناء عن الأجداد. وتميم ذاتها سادت الناس وساست الجماعات والمجتمعات، منها الملوك والأمراء، وفيها الـرجال الأشداء، والشعراء والمبدعون في كل مجال وفن. هم الملوك الذين يُحْسِنون سياسة الناس. وهم ورثة كتاب الله، وكعبته. وهم المفضلون في الدنيا والآخـرة. ليس هذا فحسب بـل إنهم هم المـدافعون عن الإسـلام وبلاد المسلمين. فلولا تميم ووقفتهـا

للدفاع عن أرض الإسلام في الثغور، لكان الأعداء نفذوا إلى البلاد الإسلامية. لكن تميم هي التي حمت الثغور، وحمت الإسلام والمسلمين.

والحقيقة أنه لم ينج إنسان من لسان الفرزدق، فهجا الشعراء وهجا الخليفة هشام بن عبد الملك، وتناول الحجاج بن يوسف، والمهلب وغيرهم الكثير. حتى كأنه خلق للهجاء ولمسبة الناس. إلّا أنه لم يبق على حال، ولم يثبت على موقف تجاه الأمويين. وتراه يمدح اليوم من كان بالأمس هجاه والعكس صحيح في كل مواقفه.

ومن فخره أيضاً قوله:

أنا ابنُ العاصمينَ بني تَميمٍ
إذا ما أعظَمُ الحَدَثانِ نابا[1]

نما في كلِّ أصْيَدَ دارِميٍّ
أغَرَّ تَرَى لِقُبَّتِهِ حِجَابَا[2]

مُلُوكٌ يَبْتَنُونَ توارثوها
سُرَادِقَها المَقاوِلِ والقبابا[3]

---

(١) العاصمين: المانعين. الحدثان: الخضوب. ناب: ألمّ واعترى.

(٢) الأصيد: من رفع رأسه كبراً. الأغر: الشريف والملتمع العزة على جبينه.

(٣) السرادق: الخيمة. المقاول: رتبة من دون الملك.. وهذا البيت بمعناه وتركيبه متعثر بسيط وسطحي المعنى.

مِنَ المستأذنينَ ترى مَعَدّاً
خشوعاً خاضِعِيْنَ له الرِّقابا(١)
شُيُوخٌ مِنْهُمُ عُدُسُ بن زَيْدٍ
وسفيانُ الذي وَرَدَ الكُلابا(٢)
يقودُ الخيلَ تركبُ من وجاها
نواصِيَهَا وتَغْتَصِبُ الركابا(٣)
تَفَرَّعَ من ذُرى عوفِ بن كَعْبٍ
وتأبى دارِمٌ لي أنْ أُعابا(٤)

هذه لوحة من فخره، وصورة يفخر فيها الفرزدق بأنه ابن الذين يعصمون الناس ويمنعونهم، حينما تذلّهم خطوب الدهر وتنزل بهم. ويقول مفتخراً بأنه نما في صيد كرام، لهم الخيام الحمراء العالية التي للأسياد. وفي هذه اللوحة يصف ذويه بالملوك، يخضع لهم العرب، ويحنون الرقاب أمامهم. ولإثبات قدرهم وقيمة أهله وذويه يرجع إلى الأصل، فأصوله من عدس، من بني دارم، وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. وسفيان هو ابن مجاشع من بني دارم جد الفرزدق. وهو البطل والفارس الذي يركب الخيل الأصيلة. ولا ينسى نسب أبيه وأمه ويتعالى على

---

(١) المستأذنين: أي من يطلب الإذن للدخول إليهم. معد: العرب عامة.
(٢) عدس بن زيد، من بني عدس: سفيان بن مجاشع: جد الفرزدق.
(٣) الوجا: الحفا.
(٤) تفرع: أي جده أبو سفيان. ذرى عوف: لأنه من أم كانت ابنة عوف بن كعب.

الناس بهم، وهم في علو ورفعة، مسكنهم الجبال، ورأيهم رشيد وأقوياء يثورون لأداء الواجب، وحين ما تستوجب الملمات.

إنه في هذه الصورة من صور الفخر، يطلب من الناس أن يخبروه بما يسأل عنه. وسؤاله هنا للتأكيد، لأنه يعلم ما يجري، وليس جاهلاً أعمى عمّا يدور حوله. وهو العارف ببواطن الأمور، وبالحادثة التي من أجلها يقول شعره. ويتجلى الفخر، والعنفوان، بزهو وكبرياء حينما يصل القول إلى أبيه غالب، إذ يقول: هل عثرتم قبل غالب ـ والده ـ من يقري مائة من الإبل، ويهبها وهو صامت لم يتكلم. وهذا دليل كرم، وهو من صفات العرب الجميلة. ووالده تستغيث به الأقوام ولو كان ميتاً.

وإن من يأتي قبره ويستغيثه لن يخذل أبداً، لأن ابنه يسير على خطى أبيه، وإن روح أبيه من جنبه. ، ويتعالى بهذه الصفات على قبيلة كلب التي خصها بالهجوم، وأنه هو الأحق بتاج المكرمات، مهما حاولت كلب من الحط من قدره ورفعته. وانهم نكلوا كلهم، ولم يدافع عن أحسابهم إلاّ والده غالب الميت، الذي كان يقود الخيل ويغشى الوغى من أجل الحفاظ على القيم والأصالة، والدفاع عن المظلوم والملهوف، وهو الذي كان يتحمل عن قومه أعباءهم، ويدفع المال والديات عنهم نتيجة جرم قام به غيره. ولكن أولئك القوم، لا ينتصحون ولا يأخذون درساً ممّا جرى. والنصح يمضي فيهم هباء.

ومن صوره التي يفخر بها(*):

ألاّ يا أخبِروني أيُّها الناسُ إنّما
سألتُ ومن يسألْ عن العلم يَعلَمِ [1]

سؤالَ امريءٍ لم يُغفلِ العِلمَ صَدْرُه
وما العالمُ الواعي الأحاديثَ كالعمي [2]

ألا هل علمتمْ ميتاً قبلَ غالب
قَرَى مِئَةً ضيفاً، ولم يتكلّمِ؟ [3]

أبي صاحبُ القَبْرِ الذي من يَعُذْ بِهِ
يُجِرْهُ مِنَ الغُرْم الذي جَرَّ والدّم [4]

وقدْ علمَ الساعي إلى قبرِ غالبٍ
من السيف يَسعى، أنّهُ غيْرُ مُسْلَمِ [5]

وإذا نحبتْ كلبٌ على الناس أيُّهمْ
أحَقُّ بتاج الماجِدِ المتكَرّمِ [6]

على نفرٍ هُمْ مِنْ نزارٍ ذؤابةٌ
وأهلِ الجرائيم التي لم تُهدَّمِ [7]

(*) الديوان - ج ٢ - ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(١) يطلب من الناس أن يخبروه بما يستخبر عنه.

(٢) لم يغفل العلم صدره: أي يعلم بكل شيء.

(٣) قرى: أطعم الضيف.

(٤) أي والده يفدي الناس في حياتهم وفي مماتهم.

(٥) يقول: إن من أتى إلى قبر والده لن يسلم ولن يخذل.

(٦) نحب: صاح صياحاً عالياً.

(٧) الذؤابة: يعني بهم هنا الأسياد. وهي في الأصل شعر في مقدمة الرأس.

فلم يَجْـلُ عن أحسابهم غيـر غـالب
جـرى بعِنـاقَيْ كُـلّ أبلج خِضْـرِم [١]

وكنتُ كـمسؤولٍ بـأحـداثِ قـومِـهِ
لِيُصْلِحَهَـا مَنْ ليسَ فيهـا بـمجـرم [٢]

ولكنْ إذا مـا المصلحـونَ عَصَـاهُـمُ
وَلِيٌّ فمـا لـلنصـحِ مـن مُتَقَـدَّمِ [٣]

ومن قصائد فخره، قوله[*]:

أنـا ابنُ ضَبّـةَ فَـرْعٌ غيـرُ مؤتَـشَـبِ
يعلو شِهَـابي لـدى مستغمـدِ اللهبِ[٤]

سـعـدُ بن ضَـبَّـةَ تنـميـني لـرابيـةٍ
تعلو الـروابي في عِـزٍّ وفـي حسـبِ[٥]

إذا حـللت بـأعـلاهـا رأيـتَ بـهـا
دُوني حَـوَاميَ من عـرِّيسها الأشِـبِ[٦]

---

(١) لم يجل: لم يدافعوا.

(٢) أحداث: مشاكل وأعباء.

(٣) يقول: إنهم لا ينتصحون والنصح يمضي فيهم هباء.

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١.

(٤) ضبة: قبيلة والدته. المؤتشب: المخلوط المريب.

(٥) تنميني: تسبني. الرابية: هنا رابية العلى.

(٦) العريس: مكمن الأسد. الأشب: الملتف الأشجار.

المانِعينَ غَداةَ الرَّوْعِ نِسوَتَهُمْ
والضاربينَ كباشَ العارضِ اللَّجِبِ[1]

ما زلتُ أتبعُ أشياخي وأُتعِبُهُ
حتى تذبذبتَ يا ابن الكلب بالنسبِ[2]

أنا ابن ضَبَّةَ للقومِ الذي خضَعَتْ
خيرُ القُرُومِ ، فهذا خيرُ مُنْتسبِ[3]

الله يَرْفَعُني، والمجد قد علموا
وَعِدَّةٌ في مَعَدٍّ غيرُ ذي رِيَبِ[4]

وبيت مكرمة في عِزّ أوّلنا
مجدٌ تليدٌ إليه كُلُّ مُنْتَجِبِ[5]

من دارمٍ حين صار الأمر واشتبهتْ
مصادر الناسِ في رجافة الكُرَبِ[6]

قَدْ علمتْ خِنْدِفٌ والمجدُ يكنُفُها
أنَّ لنا عِزَّها في أوّلِ الحِقَبِ[7]

---

(١) الروع: الحرب الشديدة. الكبش: السيد الكبير: العارض: أصله في السحاب، وهنا في الجيش. اللجب: الكثير الجلبة.

(٢) تذبذب: تحرك. ابن الكلب: جرير.

(٣) القرم: الرجل السيد.

(٤) معد: العرب.

(٥) التليد: المجد القديم الموروث. المنتجب: المصطفى.

(٦) الرجافة: الكثيرة الارتجاف. الكُرب: الأحزان.

(٧) الحِقَب: السنون.

وفي الحـديث إذا الأقـوالُ شـارعـةٌ
في باحةِ الشـركِ أو في بيضة العـربِ[1]
وكُـلِّ يـومِ هـيـاجٍ نـحـنُ قـادتُـهُ
إذا الكمـاةُ جثـوا والكَبْشُ للرُّكـبِ[2]
مِنّـا كتـائبُ مِثْـلُ الليـلِ نَجْنُبُهَـا
بـالجُـرْدِ والبـارقـاتِ البيضِ واليَلَبِ[3]
وكُـلِّ فضفـاضـةٍ كـالثلج مُـحْكَمـةٍ
مـا تَـرْثعِنّ لِـدَسِّ النَّبْـلِ بـالقُـطَبِ[4]

إنه في هذه القصيدة يفخر بنسبه المتحدر من بني ضبة، وان الأصـل الشريف الخـالص، وإنه يعلو بنجم مجـده، ويسطع، ويُخمدُ كل لهب دونه. ومن هذا النسب الرفيع أخذ نسبه، وتنسم منها محلاً لا قِبَلَ لمن دونه به عزاً ومجداً. وحماته أسود انتموا بأصلهم إلى تلك القبيلة القوية التي تحمي نساءها في القتال، وانهم يتصـدون لفحول الأبـطال، والجيوش الكثيـرة المحتشدة ويفتكون بهم.

---

(١) الأقـوال: جمع القَيْـل، وهو من كـان من الحكام دون الملوك. الشـارعـة: الخائضة.

(٢) الهياج: القتال. الكبش: البطل. الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح.

(٣) البـارقات البيض: السيـوف. اليلب: الترس والـدروع اليمـانيـة من الجلود نجنبها: نسير بجنبها.

(٤) الفضفاضة: الدرع الواسعة. ترثعن: تسترخي: القطب: جمع القطبة نصل صغير مربّع في طرف السهم.

ولا مفر له من العودة إلى الأصول والتاريخ والجدود. ويقول: إنه كان لا يزال يفخر بمن نَجُبَ من جدوده، وإن جريراً يحاول اقتفاء أثره، جاهداً لاهثاً ولا قبل له بمجاراته، وجعل يحرك نسبه وكأنه قادر أن يأخذ به!؟ إنه ينتمي إلى أقوياء، لبني ضبّة الذين أخضعوا الأسياد وسادوا. وانه بذلك ينتسب لأفضل نسب، وأشرف أرومة. ليس هذا فقط بل إن الله فضله لمآثره في العرب، التي لا يرتاب بها أحد من الناس، وانه ينتمي إلى من ورث المجد منذ القدم، وينتمي إليه كل امرئ مصطفى كريم. وإنّ الناس جميعاً تلتمس الأمان ببني قومه، حين يدب بها الضيق، وتلتبس الأمور، ويعجز الناس، لأن قومه أصحاب تاريخ ومآثر، وهم الذين ورثوا مجد خندف منذ الأزمنة القديمة. فهم الأسياد في الجاهلية، وناصية العرب والمتقدمين، وهم حديث المجد في الإسلام. إنهم يقودون القتال الشديد الذي تخر من دونه الأبطال. وجيوشهم كالليل تزحف، على خيول كريمة أصيلة، وهم يلبسون الدروع اللماعة الصقيلة، والبيضاء كالثلج، والتي لا تسترخي ولا تلين للسهام والنصل.

وإنه يهجو عمر بن هبيرة الذي كان قد مدحه(*):

أنا ابن خِنْدِفَ والحامي حَقِيْقَتَها
قَدْ جعلوا في يدي الشّمسَ والقمرا(١)

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(١) يهجو عمر بن هبيرة ويفاخره بقومه.

وَلَو نفرت بقيسٍ لاحتَقَرْتُهُمُ
إلى تَميمٍ تَقُودُ الخيلَ والعَكَرَا[1]

وَفِيهِمْ مائَتَا ألفٍ فَوَارِسُهُمْ
وحَرْشَفٌ كجشَاءِ الليلِ إذ زَخَرَا[2]

كَانُوا إذاً لتميمٍ لُقْمَةً ذَهَبَتْ
في ذي بلاعيمَ لَهَّامٍ إذا فَغَرَا[3]

باتَ تميمٌ وَهُمْ في بعضِ أوعيةٍ
من بَطْنِهِ قد تعشاهم وما شعَرا[4]

يا أيها النابحُ العاوي لشِقْوَتِه
إليَّ أُخْبِرْكَ عمّا تجهلُ الخبرا[5]

بأنَّ حَيّاتِ قيسٍ إن دلفتَ بها
حَيّاتُ ماءٍ ستلقى الحيّةَ الذكرا[6]

أصَمَّ لا تقربُ الحياتُ هضبتَهُ
وليسَ حَيٌّ لَهُ عاشَ يَرَى أثرا[7]

---

(١) العكر: قطعة من الإبل.

(٢) الحرشف: الجراد. وهنا الجيش الذي يمثل عدوه. جشاء الليل: شدة ظلمته

(٣) اللهام: الكثير الالتهام.

(٤) أوعية: جمع وعاء، وهو القدر.

(٥) العاوي: المقصود به عمر بن هبيرة.

(٦) حيات ماء: لا سُمّ فيها. الحية الذكر: هي الحيّةُ المسمة.

(٧) أصم: قوي.

يـــا قَيْسَ عيــلانَ إنــي كنتُ قلتُ لـكم

يا قيس عيلانَ أن لا تسرعوا الضجـرا[1]

إنــي مـتـى أهــجُ قــومـاً لا أدعْ لَـهُـمُ

سَمْعـاً إذا استَمَعُوا صوتي ولا بَصَـرَا[2]

يـا غَــطَفَــانُ دعـي مَــرْعَـى مُـهَـنَّـأةٍ

تُعـدي الصِّحاحَ إذا ما عَرُّهَـا انتشـرا[3]

لا يُبـرِيءُ القـطرانُ المحضُ نـاشـرهــا

إذا تَصَعَّــدَ فـي الأعنـاقِ واستَعَـرَا[4]

لـو لمْ تكنْ غَــطَفَــانٌ لا ذنــوبَ لهــا

إلــيّ لامَ ذوُوا أحــلامـهــم عُـمَـرَا[5]

ممّــا تَشَجَّــعَ مِنّـي حيـن هَجْهَـجَ بي

مِنْ بين مَغْــرِبهــا والقَــرْنِ إذ فَـطَرَا[6]

إنْ تَمْنَـعِ التّمْــرَ منْ رَازَنَ مــائِـرنــا

فلستَ مـانـعَ جُــلّ الحيّ من هجـرا[7]

---

(١) يقول: إنه كان حذرهم من الامتناع عن الصبر، ومن أن يتضجروا بيسر.

(٢) يقول: إنه حين يهجو قوماً لا يدع مهم سمعاً ولا بصراً، أي إنه يفتك بهم ولا يدع لهم خلاصاً.

(٣) المهنأة: الإبل المطلية بالقطران لجربها. العر: الجرب.

(٤) الناشر: الجرب المنتشر في مغابن البعير.

(٥) يقول: إنه لو كان الغطفانيون يحلمون ويعقلون للاموا عمر بن هبيرة.

(٦) هجهج: صاح به ليكف عمّا دأب عليه. مغربها: أي الشمس. فطر: طلع.

(٧) المائر: الذي يأتي بالطعام. والكيرة ورازان: موضعان.

قد كنتُ أنذرتُكُمْ حربي إذا استعرتْ
نيرانُهَا هي نارٌ تقذفُ الشّررا[1]
قُبْحاً لنارِكُمُ والقِدْرُ إذْ نُصِبَتْ
على الأثافي وضوءُ الصبح قَدْ جَشَرا[2]
لو كان يَعلَمُ ما أنْتُمْ مُجاوِرُكُمْ
لما أناخَ إلى أحفاشكمْ سَحَرَا[3]

إنه يهجو عمر بن هبيرة، ويفاخره بقومه، ويقول إنه خندفي، وهو الذي يحمي راياتها وكيانها وإنه نال من بني قومه مجد من يحمل الشمس والقمر. ولعله يشير هنا إلى قول النبي الكريم لبني قريش: لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري لما بدلت في ذلك حرفاً، وبما أنه بهذه القوة والمنعة فإنه لا يحفل بالقيسيين، وإنه يلوذ إلى بني تميم الذين يقودون الخيل الحاشدة والإبل الكثيرة. وتميم من القوة والمنعة، فإنها تملك الفوارس الأشداء وعددهم يفوق الجراد. وإنّ جيوشهم تضطرب كالليل الزاخر، وكالموج الهادر. والقيسيون بالمقابل هم ضعفاء كاللقمة السائغة، يبتلعها جيش تميم ابتلاعاً، دون أن تشعر قيس، وهذا تحقير مبالغ فيه، وإشارة لضعف قيس وقلتهم، وقلة شأنهم، وهم ـ أي قيس ـ كحيات ماء عاطلة عن اللدغ وهو كامن في مكمن من

(١) أنذر: حذّر. استعرتْ: اشتعلتْ.

(٢) جشر: طلع.

(٣) الأحفاش: البيت الصغير الحقير.

يقترب ويدنو منه ليلاً لا يقع له على أثر لأنه حية ذكر تبث سمومها القاتلة في كل اتجاه. وإنه إذا قال كلمة في الهجاء في قوم لا يدع لهم سمعاً ولا بصراً، أي أنه يفتك بهم ولا يدع لهم خلاصاً. وتتوسع عنده دائرة الهجاء، إذ يطلب من بني غطفان ألا يدنوا من القيسيين فإنهم سيصابون بمثل جربهم وينالون مصيرهم الهالك، والقطران لا يشفي الجرب، إذا استأصل الجرب وانتشر واشتعل. ولو كان الغطفانيون يعقلون ويحلمون للاموا عمر بن هبيرة، كي لا يقع الجميع ـ عمر وقيس ـ في مثل هذه الواقعة وهذا الفحش في الهجاء من رجل سليط اللسان، ويملك أداة التعبيد الجارحة والقاتلة أحياناً.

نقائضه وجرير:

لقد خلق الفرزدق مقاتلاً، مشاكساً. وكانت غلظة البداوة وروحها تسريان في عمق شرايينه، وتُبعثُ في كلماته وفي شعره كأنها السيول العارمة، أو جلاميد الصخور الصلدة. فتكسر وتقلع من طريقها ما تصادفه.

وبقيت المعركة بين جرير والفرزدق قائمة وعلى نار ملتهبة مدة أربعين سنة لم يهدأ أوارها إلّا بموت الفرزدق. وتحمل النقيضة في طياتها هجاء ومديحاً وفخراً. فالهجاء موجه إلى المهجو. والمديح والفخر والاعتداد بالنفس موجه إلى النفس أو الذات، أو إلى القبيلة أو المجموع. وحتى الهجاء في النقائض يتحقق فيه

شرطان، أولهما الهجاء الفردي، وثانيهما الهجاء الجماعي. ويتناول ذلك الهجاء الخلقي، والأخلاقي وغير ذلك من الشتائم والسباب.

وفي هذه القصيدة ـ النقيضة يتحقق ما نقوله إذ يرد على جرير ويناقضه(*):

جَرَّ المخزيَاتِ على كُليبٍ
جريرٌ ثم ما مَنَعَ الذِّمارا[1]

وكان لَهُمْ كبكر ثَمودَ لمّا
رَغا ظُهْراً فدمرهم دَمارا

عَوَى فأثار أَغْلَبَ ضيغمياً
فَوَيْل ابن المراغةِ ما استثارا[2]

مِنَ اللائي يظلُّ الألفُ مِنْهُ
مُنيخاً من مخافته نهارا[3]

تظلُّ المُخْدِرَاتُ له سُجوداً
حَمَى الطُّرُقَ المقانبَ والتِّجارا[4]

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٥٧٤ وما بعدها.

(١) المخزية: العار. الذمار: ما يدافع عنه.

(٢) الأغلب: الأسد: الضيغمي: الأسد القوي.

(٣) يقول إن ذلك الأسد يخيف ألف رجل يقعون خوفاً منه.

(٤) المخدر: الأسد. المقانب: الفرسان. التجار: الفرسان.

كـأنّـي بـسـاعـدَيْـهِ سـوادَ وَرْسٍ
إذا هُـوَ فـوقَ أيـدي القـومِ سـارا[1]

وإنّ بنـي الـمـراغـةِ لـم يُصيـبُـوا
إذا اختـاروا مشـاتـمتي اختِيَـارا[2]

هَـجَـوْني حـائـنـين وكـان شَتْمي
عـلى أكـبـادِهِـمْ سَـلَعـاً وقـارا[3]

ستـعـلمُ مَنْ تـنـاوُلُـهُ الـمـخَـازِي
إذا يَـجْـرِي وَيَـدّرعُ الـغـبـارا[4]

ونـام ابـن الـمـراغـةِ عَـنْ كُـلَيـبٍ
فَـجَلّلَهـا الـمخازي والـشُّنَـارا[5]

وإنّ بـنـي كُـلَيـبٍ إذْ هـجـونـي
لـكـالـجـعـلان إذْ يـغـشـيـن نـارا[6]

وإنّ مُـجَـاشِـعـاً قَـدْ حَـمّلَتْـنـي
أمُـوراً لَـنْ أضَـيِّـعـهـا كـبـارا[7]

---

(١) الورس : الزعفران .

(٢) مشاتمتي : مهاجمتي ، ومسبتي .

(٣) الحائن : الحاقد . السلع : شجر خبيث مر . القار : الزفت .

(٤) يدرع الغبار : غبار السباق ، وهنا المفاخرة .

(٥) الشنار : العار .

(٦) الجعل : دويبة .

(٧) يقول : إنه ورث المجد عن أبيه وذويه .

قِـرَى الأضـيـافِ لـيـلة كـلِّ ريـحٍ
وَقـدْمـاً كُـنْـتُ لـلأضـيـاف جـارا[١]

إذاً اخـتـرقـتْ مـآشـرهـا أشـالـتْ
أكـارع مـن جـواشـنـهـا قِـصـارا[٢]

تـلـومُ عـلى هـجـاء بـنـي كـلـيْـبِ
فـيـا لـك للمـلامـة مِـنْ نَـوارا[٣]

فـقـلـتُ لـهـا: أَلَـمَّا تـعـرفـيـني
إذا شَـدّتْ مـحـافـلـتـي الإزارا[٤]

وقـالـت عـنـد آخـرِ مـا نـهـتـني:
أتَهْجُـو بـالـخـضـارمـةِ الـوبـارا[٥]

أتَـهْـجُـو بـالأقـارعِ وابـن لـيـلى
وصعصعـة الـذي غمـر البحـارا[٦]

---

(١) قرى: إطعام الضيف.
(٢) المآشر: الأشداق. أشالت: رفعت. الكراع: ما دون كعب القدم. الجوشن: الصدر.
(٣) نوار: زوجته.
(٤) المحافلة: المنافسة.
(٥) الخضرم: السد. الوبار: جمع الوبر، دويبة حقيرة.
(٦) يقول: إنّ زوجته عجبت أن يهاجي جريراً على الكلبيين، وهم دويبات صغيرة، بني قومه الكرام الأسياد أمثال الأقارع وابن ليلى وصعصعة جده الذي افتدى الموؤودات.

وناجية التي كانت تميمٌ
تعيشُ بحزمِهِ أنّى أشارا[1]

فكيفَ تَرُدُّ نفسَكَ يا ابنَ ليلى
إلى ضِرْبَي تَحَفَّرَتَ المغارَا[2]
هَلُمّ نوافي مكةَ ثُمَّ نسأل
بنا وبكُمْ قُضاعةَ أو نزارا[3]

هنالك لو نسبتَ بني كُليبٍ
وجدتُهمُ الأدقاءَ الصِّغارا[4]
وما غرَّ الوبارَ بني كُليبٍ
بغيثي حِيْنَ أنْجَدوا استطارا[5]

وِبَاراً بالفضاءِ سَمِعْنَ رعداً
فَحَاذِرْنَ الصواعقَ حِيْنَ ثارا[6]
حَرَبْنَ إلى مَداخلهن مِنْهُ
وجاء يُقَلِّعُ الصخرَ انحدارا

---

(١) يقول: إنه كان ينجي تميماً بحزمه وحكمته.

(٢) الضرب: دويبة. تحفرت المغار: أي حفرت جحراً. ابن ليلى: الفرزدق وزوجته ما زالت تؤنبه على تضاؤله بمهاجاة جرير.

(٣) يدعوه لتحكيم العرب بينهم في يوم الحج.

(٤) الأدقاء: الضئيلو القدر.

(٥) الغيث: المكان الممرع بالمطر. أنجدو استطار: طلع.

(٦) وبار: دويبة الوبر.

فـأدركـهُـنَّ مُـنـبَـعِـقٌ ثُـعَـابٌ
بِـحَتْـفِ الحـينِ إذ غـلب الجِـذَارا [1]

فـإنّـكَ والـرهـانُ عـلى كُـلَيْـبٍ
لكـالمُجْرِي مـع الفرسِ الحمـارا [2]

إنه في هذه القصيدة الهجائية يهجو مباشرة جريراً. فهو الذي جرّ المخزيات والعار على كليب. ولم يكتف بهذا بل جر عليهم الموت أيضاً كناقة ثمود. ويصف نفسه بالأسد الذي يخيف الناس والفوارس، وإنّ يديه اصطبغتا بالدم، وهو الذي حمى النـاس، ومنع سلبهم. وإن بني المراغة لم يصيبوا حينما شتموه، لأنه إنسان كريم وهو كالشجر الخبيث المر يضر من هجاء. وهنا فخر وتفاخر بنفسه إذ يعتبر نفسه من الفوارس الأشداء الأقوياء. وإذا جاءته مسبته من بني كليب فهي لا تؤذيه، لأنهم كدويبة صغيرة لا شأن ولا قـوة لها. وإنـه ورث المجد عن ذويـه الذين كـانوا يغيثـون المـظلوم، ويكرمـون الضيـف. وهـو على نفس طـريقـة آبـائـه وأجداده، إنه لا يُقاوم حين يُشمر للفخر والمشاتمة. وتعيبه زوجته لأنه تنازل وهجا جريراً، وقومه هم الأسياد أمثال الأقارع وابن ليلى وصعصعة جده الذي افتدى الموؤودات.

(١) المنبعق: المتفجر مطراً. الثعاب: الجاري بقوة. الحتف والحين: الموت.

(٢) يقول الكلبيين حمير يجارون أفراس قوم الفرزدق.

وإنّ زوجته تؤنبه لأنه لم يفحم جريراً، وتضاءل، وتقاعس بمهاجاته. أي إنها تريد معركة فاصلة بينهما، يكون الفوز فيها لزوجها الفرزدق. ولكي يعطي الفرزدق الصورة أبعادها يطلب من جرير أن يوافقه على تحكيم العرب بينهما في يوم الحج. واختار هذا اليوم لأنه أكبر اجتماع في الجزيرة العربية، ويستطيع الشاعر من خلال هذا المجموع أن يصل إلى أكبر عدد من الناس. وستكون الغلبة له لأن بني كليب وجرير منهم، هم ضئيلو القدر، وهذا ما تعرفه القبائل عنهم حسب رأي الفرزدق، وإنّ بني كليب لن ينجحوا ببتر خيره منه وجحده من نفسه لأنهم مثل دويبة الوبر التي تخاف الرعد وتختبيء من المطر. إنه المطر، السيل الذي يجرف كل عدو، وينتصر على الفرسان الأقوياء. وحتى على القبائل، كمثل كليب، إذ يعتبرهم حمير يجارون أفراس قومه.

في هذه القصيدة هجاء وفخر. هجاء بلسان تعود الفحش، وهتك الأعراض، بما ألصق بجرير من صفات، وبما وصف فيه جماعة جرير من أوصاف منحطة، ولا ينسى نفسه وقومه، والمباهاة بنفسه وبتاريخ أجداده، حيث يبرز الفخر والتعالي. وهذا شرط من شروط المقابلة من الهاجي والمهجو: إنه الرفيع وخصمه الوضيع، وهو العالي الشامخ، وغيره المنحط الداني.

والنقائض كثيرة من الشاعرين. وهي بحاجة إلى دراسة منفصلة عن هذه الدراسة، لكثرتها، وقوتها. وما فيها من تصوير مادي

وحسي لأدق المواضيع. ولما تمثله من صورة صادقة عن عصر دبت فيه الخلافات، وعادت إليه العصبيات.

المديح عند الفرزدق:

كان الفرزدق يتشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه، ويجاهر بحبه لهم. وإذا مدحهم تدفق شعره عاطفة وحماسة، فما ترى فيه أثراً لتكلف المادح المتكسب وخير دليل على صدق موالاته آل البيت قصيدته في علي بن الحسين زين العابدين فهي من أبلغ الشعر وأخلصه عاطفة. أنشدها في وجه هشام بن عبد الملك لما حج في عهد أبيه وطاف بالبيت، وجهد أن يتسلم الحجر الأسود، فلم يبلغه لكثرة الزحام، فنُصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من أجمل الناس وجهاً، فطاف بالبيت حتى إذا انتهى إلى الحجر انشقت له الصفوف ومكنته من استلامه، فقال رجل من أهل الشام لابن عبد الملك «من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة» فقال هشام: «لا أعرفه». وخاف أن يذكر اسمه فيرغبهم فيه. وكان الفرزدق حاضراً فقال: «أنا أعرفه» فقال الشامي: «ومن هو يا أبا فراس؟» فقال قصيدته(*):

(*) الديوان ـ ص ٣٥٣.

هــذا التي تَعـرِفُ البـطحـاءُ وطـأتَــهُ
والبيتُ يَعْـرِفُـهُ، والحِـلّ والحَـرَمُ[1]

هــذا ابــن خيــر عــبـاد الله كُـلّهِـمُ
هــذا التقي النقي الـطاهـر الـعَلَمُ[2]

هــذا ابن فـاطمــة إنْ كنتَ جـاهِـلَهُ
بِـجَـدّهِ أنـبـيـاءُ الله قَـدْ ختـمـوا[3]

ولـيس قـولـك من هــذا بـضـائــره
العُـرْبُ تعَـرِفُ مَنْ أنكـرتَ والعجمُ[4]

وهي قصيدة طويلة فيها الصدق في العاطفة. فزين العابدين هو الإمام الذي تعرفه البشرية أينما وجدت، وهو من سلالة النبي سيد الخلق سلام الله عليه وهو رمز التقى والنقاء في هذه الحياة. ولا يستطيع أن ينكر وجوده وحقه أحد من البشر لأنه ابن بنت رسول الله، أمه فاطمة، وأبوه الحسين. وجده علي بـن أبي طالب. وما الإنكار في مثل هذه المواضـع إلاّ نتيجة لما هو من رفعة ومنزلة يخشاها هشام ذاته، وكيف ينكر هشـام مثل هذا الإنسان الـذي

(١) البطحاء: أرض بمكة فيها أفضل قريش. البيت: الكعبة. الحرم: ما حول مكة وفيه يحرم قتل الطير واللائذين. الحل: ما جاوز الحرم.
(٢) العلم: السيد الشهير.
(٣) أي بالنبي محمد ﷺ.
(٤) ضائره: مضرّ به.

تعرفه العرب في حضرها ومضرها، في مدنها وباديتها، وتعرفه العجم وكل ناطق بلسان الإسلام.

وعندما سمع هشام هذه القصيدة غضب، وحبسه بين مكة والمدينة فهجاه الفرزدق بقوله:

أَتَحْبِسُني بين المدينة والتي
إليها قلوبُ الناسِ يَهْوي مُنيبُها[١]

يُقَلِّبُ رأساً لم يكن رأس سيدٍ
وعينٌ له حولاءُ، بادٍ عُيوبُها[٢]

فبلغ شعره هذا هشاماً، فأمر بإطلاقه خوفاً من لسانه.

والفرزدق متقلب الولاء. مدح الأمويين رغبة أم رهبة، وأجاد في مدحه لهم لكنه لم يكن في كثير من قصائده نحوهم موفقاً. وكانت الصنعة والنظم باديين بشكل جلي في شعره، ونراه يمدح هشاماً الذي كان قد هجاه، ويعتبره خليفة الأرض.

---

(١) يهوي: يسرع ويمضي في سيره. منيبها: تائبها، من أناب إلى الله رجع إليه وناب. وقوله: التي: أراد بها مكة فعرف باسم الموصول تعظيماً لها. يقول: أتحبسني بين المدينة ومكة التي يسرع إليها ذوو القلوب التائبة، والضمير في منيبها يعود على القلوب.

(٢) باد: ظاهر. وكان هشام أحول.

ويقول في ذلك(*):

إنْ أسْتَطِعْ مِنْكَ، الدُّنُوَّ فإنني
سأدنو بأشلاء الأسير المقيَّدِ[1]

إنَّ خيرَ أهل الأرض من يستغثْ به
يكنْ مِثْلَ مَن مرّتْ له طير أسْعُدِ[2]

ولو انني أستطيعُ سَعْياً سَعَيْتُهُ
إليكَ وأعناق الهدْيِ المُسقَلَّدِ[3]

خليفةُ أهل الأرض أصبحَ ضَوْءُهُ
بهَ إن يهدي للهدى كلُّ مُهتَدِ[4]

فإنَّ أمير المؤمنين مُحِيْطَةٌ
يَداهُ بأهل الأرضِ من كلِّ مرصدِ[5]

سيأبى أمير المؤمنين بعدلِهِ
على الناسِ والسَّبعَينِ في راحةِ اليدِ[6]

(*) الديوان - ج ١ - ص ٢٣٨.

(١) يقول: إنه إذ ما دنا إليه وأدركه فإنما يدنو إليه ولم يبق منه إلاّ الأشلاء التي ما تبقى من الأسير المغلول.

(٢) يعني أنه أفضل الناس ومن يلجأ إليه ينال اليمن. وكأنْ طير التفاؤل حلقت عليه.

(٣) الهدي: النياق تهدى في مكة. المقلد: الإبل التي وضعت لها قلائد حين تهدى في الحج. والمعنى: أنه لو قدر له أن يتحرر ويقبل عليه لطار إليه.

(٤) يقول: إنه خليفة الله على أرضه، وإنه هو الذي يهدي الناس بنور هديه.

(٥) يعني إن يديه طائلتان، وإنه يترصد بهما كل امرىء على الأرض.

(٦) السبعين: أي السموات السبع، وطبقات الأرض السبع. في راحة اليد: أي أن الأرض والسماء، مسيران بإرادة الله.

ولا ظـلـم مــا دام الخـليـفــةُ قــائـمــاً
هـشــامٌ، ومـا عـنْ أهـله مـن مـشـرَّدِ[1]

يبدأ باعتذار عما كان منه من هجاء في السابق، ويتمنى أن يـدرك الخليفة حتى لـو كان شبـه رجل، همـه السجن، وقتله الوجد، وأصبح أشلاء من ثقـل الحديـد ويؤكد أن هشـاماً هـو الخليفة الميمون، ناصر المظلوم، وحامي الملهوف من يلجأ إليه ينال السعادة واليمن، ويرى الكـرم والجود، وكأن السماء ذاتها وهبته سمة التفاؤل والطمأنينة وأعطاها لبني البشر أجمعين. ولو استطاع الفرزدق أن يطير إليه لطار بعد ما عرف عنه من صفات حميدة، وأعمال مجيدة. إنه خليفة الله على أرضه، ومن حمل هذا اللقـب عليه أن يكون عادلاً كريماً. وهشام الخليفة يهدي الناس بنور هديه، وما دام هشام مالكاً ومملكاً، فإن الرعية بخير لأن الظلم ينتفي ويـزهق، والتشرد يُمحى من الـوجود، وتبقى الحياة مستقرة بين الأهل والعشيرة.

ويمدح عمر بن عبد العزيز، ويقول(*):

ألـيسَ مَـرْوَان والـفــاروقُ قــدْ رَفَـعَــا
كفَّيْـهِ، والعُـودُ مــاء العِـرْقِ يَعْتَصِــرُ[2]

---

(١) يقول إنه ما دام هشام مالكاً، فإن الظلم ينتفي ولا قِبَلَ لأحد أن يشرد امرءاً عن أهله وذويه.

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣١٥.

(٢) مروان: جد عمر بن عبد العزيز. الفاروق: من ألقاب عمر بن الخطاب، وهو جد عمر بن عبد العزيز.

مــا اهتزَّ عــودٌ لــه عِــرقــانِ مِثلُهُمــا
إذا تَــرَوَّحَ في جُــرثُــومِــهِ الشَّجَــرُ[1]

أَلْـفَيْـتَ قَـوْمَـكَ لم يَـتْـرُكْ لِأثـلتـهِـمْ
ظِـلٌ، وعنهـا لحَـاءُ السَّاقِ يُقْتَشَـرُ[2]

فـأعــقــبَ الله ظِـلاً فــوقَــهُ وَرَقٌ
مِنْهـا بكفيكَ فيهــا الريشُ والثمــرُ[3]

ومــا أُعِـيْـدَ لَـهُـمْ حتــى أَتَيْـتَـهُـمُ
أزمــانَ مــروانَ إذا في وَحْشِهــا غِـرَرُ[4]

فــأصبحــوا قَــد أعَــادَ الله نـعْمَـتَهُـمْ
إذْ هُمْ قــريشٌ وإذ مــا مثلهم بـشــرُ[5]

وهــم إذا حَـلفــوا بــالله مُـقْـسِـمُـهُـمْ
يقــول: لا والــذي من فضله عُمــرُ[6]

عـلى قُــريش إذا احتَـلَّتْ وعضّ بـهــا
دهــرٌ، وأنــيــابُ أيــامٍ لـهــا أثَــرُ[7]

---

(١) تروح: طال أو اكتسى ورقاً بعد تولي الصيف. الجرثومة: أصل الشجر.

(٢) الأثلة: الشجرة.

(٣) يقول إنك أتيت وجعلت عودهم يورق وانتشر الظل فكسوا ريشاً ونالوا ثماراً.

(٤) يقول إنه أعاد لهم عهد مروان إذ كان ينقض كالأسد.

(٥) يقول إنهم استعادوا مجد قريش به.

(٦) أي إنهم يقسمون قسماً بالله الذي أنعم علينا بالخليفة عمر بن عبد العزيز.

(٧) عض بها: الدهر: أي أنه أنزل بها الخطوب وأملقها. أنياب أيام: أي أن الأيام آذتها.

وقــد حُمِـدْتَ بـــأخـلاقٍ خُبِــرْتَ بهـا
وإنمــا يـا ابن ليلى، يُحمــدُ الخبـرُ[1]
سخــاوةٌ مِنْ نَــدَى مــروانَ أَعْــرِفُـهــا
والــطعنُ للخيـل في إكتــافهـا زَوَرُ[2]
كـم فَــرّقَ الله مـن كَــيْــدٍ وَجَـمـعَــهُ
بــهِمْ وأطـفــأ من نــار لـهـــا شَــرَرُ[3]
ولـــن يــزالَ إمَــامٌ مــنــهُـــمُ مَـلِكٌ
إليــه يَشْخَصُ فـوق المنبــر البَصَـرُ[4]

إنه في مدحه للخليفة عمر بن عبد العزيز، يتجاوز الحاضر، ويصل إلى الماضي، إلى الأساس الذي استمد منه الخليفة الحق في الخلافة. فجده مروان، وجده الآخر الخليفة عمر بن الخطاب، التقي الورع، الذي لقبه رسول الله بالفاروق. والمعنى أنّ هذا الخليفة تربى على الإيمان والعدل، وقد تحدر من جدين فرعهما أصيل، وهو أصيل كجديه، فبه عظمت الخلافة، واكتست الحياة ثوباً جديداً، وأورق الشجر وأينعت الثمار، ولا

(١) يقول إنه خُبِرْتْ أخلاقه وجربتْ والمرء لا يحمد إلاّ عن اختبار.

(٢) الزور: الميلان.

(٣) يقول: إنهم محور الناس، يتفقون بهم ويختلفون عليهم وتُطفأ ثورتهم على أيديهم.

(٤) يعني انهم الأئمة والخلفاء الدائمون، يقيمون على منابر الخطابة والأبصار شاخصة إليهم.

نجد في الحياة أصولاً كأصل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد شكلت عودة عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة حدثاً مهماً، هو عودة الرفعة بعدما كاد الحكم الأموي يقع في مشكلات اختيار خليفة. وقد أعاد حكم مروان الذي شبهه بالأسد، وأرجع معه مجد قريش، فهي الأصل والمركز في الجاهلية، وهي الدين والإيمان، والعلم والمعرفة في الإسلام. والخليفة عمر وارث الأمجاد، والرجل المجرب، وصاحب الأخلاق العالية، والسلوك الإنساني الواضح، هو الذي أعاد كل تلك الأمجاد: لأنه محور الناس، به يتفقون ويجتمعون عليه، وتطأ ثوراتهم على يديه. وهو من الأئمة والخلفاء الدائمين. يقيمون على المنابر للخطابة والإرشاد وأبصار الناس شاخصة إليه، لأخذ الحكمة والمنفعة.

وله قصائد كثيرة في مدح بني أمية، ومنها هذه الأبيات في مدح الوليد بن عبد الملك.

يقول(*):

إذا عَرَضَ المَنَامُ لنا بِسَلْمى
فَقُلْ في لَيْلِ طارِقَةٍ قصير[1]
أتتنا بعدما وَقَعَ المَطَايَا
بِنَا في ظِلِّ أبيَضَ مُسْتَطِيرِ[2]

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(١) أي أنه لا ينام لأن طيف حبيبته يلمّ به.

(٢) الأبيض المستطير: الفجر.

فَقُلْتُ لها كذا الأحلامُ أمْ لا

أتتني الرائعاتُ مِنَ الدهورِ[1]

فلما للصلاةِ دَعَا المنادي

نهضتُ، وكنتُ منها في غرورِ[2]

ورثنا عَنْ خَليلِ الله بيتاً

يُطَيِّبُ للصلاةِ وللطَّهُورِ[3]

هُوَ البيتُ الذي من كُلِّ وَجْهٍ

إليه وجُوهُ أصحابُ القُبُورِ[4]

خِيَارَ الله للإسلام إنّا

إليكَ نشد أنساع الصُدُورِ[5]

ستحملنا إليكَ مُبَلِّغَاتٌ

يَطَأن دَماً مكدَّحة الظَّهورِ[6]

لتأتي خيرَ أهلِ الأرض حَيّاً

تُحَلُّ إليه أحناءُ الأمورِ[7]

---

(١) يقول: إنه ألم به طيفها عند الفجر وقد مالت المطايا وأنيخت تعباً.

(٢) أي أنه نهض باكراً.

(٣) يقول: إنهم ورثوا عن إبراهيم خليل الله بيت الحج في مكة.

(٤) يعني أن الموتى تدار وجوههم إلى مكة.

(٥) يقول إن الله اختاره للإسلام وخيره. وإنهم ـ المسلمون ـ يشدون المطايا إليه.

(٦) يقول إنهم يمتطون إليه النياق النجيبة التي توصل راكبها إلى غايته وإنها قرحت متونها من التعب.

(٧) أي إنه خير الناس وإنه أفضل من يجلو الشدائد.

ولـكـنْ يـنـتـجِـعْـنَ بـنـا فراتـاً
وَنيْـلاً يَـطْمُـوَانِ على الـبُحُـورِ[1]

هـمـا فـي راحـتـيـكَ إذا تـلاقـى
عُـبـابُـهُـمـا إلى حَـلَبٍ غَـزِيـرِ[2]

بـهِمْ ثَبَتَتْ رَحى الإسـلام قَسْـراً
وَضَـرْبٍ بـالـمُـهَـنَّـدةِ الـذُّكُـورِ[3]

تَـوارَثَـهـا بَـنُـو مـروانَ عَـنْـهُ
وعـن عثْـمَـانَ بَعْـدَ ثـأي كـبيـرِ[4]

أمـيـرُ الـمـؤمـنـيـن وأنـتَ تَـشْـفـي
بِـعَـدْلِ يَـدَيْـكَ أدْوَاءَ الـصُّـدُورِ[5]

يعبر في هذه الأبيات عن حالته تجاه ممدوحه الوليد بن عبد الملك. ويصف حالته الصعبة، إذ هو لا ينام لأن طيف حبيبته يلازمه ويطبق عليه. ويبقى ساهراً حتى يصبح مع الفجر، حيث المطايا مالت وأنيخَتْ تعباً من كثرة التجوال. ومع هذا فإنه لا ينسى نفسه، وهو صاحب الحلم والرأي والتبصر بأمور الحياة

---

(١) يقول: إنّ تلك النياق ليست للتجارة وإنما هي تحملهم إلى الممدوح وهو أشد فيضاناً من النيل والفرات.

(٢) يعني أن الفرات والنيل يفيضان من يدي الخليفة.

(٣) يقول إنه مكن للإسلام بالعطاء والقتال بالسيوف الصلبة القوية.

(٤) الثأي: الجهد.

(٥) يعني أنه يبريء الناس بعدله ممّا يعانون.

والناس ولولا هذا الحلم لأهلكه الزمن من كثرة المصائب. ومع هذا كله لا ينسى واجباته الدينية فينهض للصلاة باكراً. وهم ورثة إبراهيم خليل الله إذ ورثوا عنه بيت الحج في مكة، هذا البيت الذي تدار وجوه الموتى إليه كما اتجهت نحوه في الحياة للصلاة لأنه قبلة المسلمين. وما الخليفة الوليد سوى حامل لواء الدين، والله نفسه اختاره لخير الإسلام، وهم يشدون المطايا إليه طلباً للعون والمساعدة، ورغبة منهم في هباته وعطاياه. وانهم يركبون المطايا والنياق النجيبة التي توصل راكبها إلى غايته المنشودة، وتصل إلى ضالتها رغم الأزمات والصعاب. والناس تأتي الخليفة من كل حدب وصوب لأنه خير من يجلو الشدائد، وأفضل خير الناس وأكرمهم. إنه أكرم من النيل والفرات وأشد هبة وعطاء منهما، وتعكس الآية بتشبيه رائع وبليغ إذ أن هذين النهرين يفيضان من يدي الخليفة، الذي مكن للإسلام بالعطاء والجود والقتال بالسيوف. ولم تصل الخلافة إلى بني مروان بهذه السهولة بل كانت دونها صعاب، وبذل من أجلها جهد كبير. وهم أصحاب العدل والسياسة والحكم والخلافة لأنهم يعدلون بين الرعية ويبرئون الناس ممّا يعانون من ظلم بواسطة عدلهم وكرمهم، وعطفهم على كل الرعية.

ولم يقتصر مدح الفرزدق للخلفاء بل تعداه إلى الولاة والأمراء. فهو في هذه القصيدة يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.

ويقول في هذا(*):

إنّ ابن يوسفَ محمودٌ خلائِقُهُ
سيّان مَعْرُوفُهُ في الناسِ والمَطَرُ[1]
هو الشِّهابُ الذي يُرمى العدوُّ بِهِ
والمَشْرَفيُّ الذي تَعصَى بهِ مُضَرُ[2]
لا يرهب الموت إنّ النّفْسَ باسلةٌ
والرأيُ مُجْتَمِعٌ والجودُ منتشرُ[3]
أَحْيَا العِرَاقَ وَقَدْ ثُلّتْ دَعَائِمُهُ
عَمْيَاءُ صَمّاءُ لا تُبقي ولا تَذَرُ[4]

هذه القصيدة من قصائد الفرزدق القصار التي أشرنا إليها في مطلع بحثنا. ويصف ممدوحه بأجمل الصفات، فالحجاج بنظره كريم جواد، سخي العطاء، وفضله على الناس ينهمر كالمطر. وهو القوي الصنديد الذي تحتمي به القبائل والعشائر، إنه مقدام لا يهاب الموت ولا يخشى الحتوف، نفسه باسلة قوية، ورأيه مصيب، وجوده منتشر. وهو الذي أحيا العراق بعد الفوضى التي

(*) الديوان - ج ١ - ص ٥٦٥.

(١) يعني بقوله: أن فضل الحجاج ينهمر كالمطر. سيّان: مثلان شبيهان.

(٢) تعصى به: تضرب وتصمد.

(٣) يمتدحه بالشجاعة والكرم.

(٤) ثلث: هدمت. العمياء الصماء: الفتنة لا تبصر ولا تسمع. لا تبقي ولا تذر: لا تترك شيئاً بعدها.

نزلت بتلك الديار وأعاد الأمن والاطمئنان للناس بسبب ما يمتلك من قوة وحكمة.

ويمدح الوليد بن عبد الملك بهذه القصيدة، ونقطتع منها الأبيات التالية(*):

سَلَوْتُ عَنِ الدَّهْرِ الذي كان مُعجباً
ومثلُ الذي قد كانَ مِنْ دهرنا يُسْلي(١)

وأيْقَنْتُ أنّي لا مَحَالَةَ ميِّتٌ
فَمُتَبِعٌ آثارَ مَنْ قَدْ خلا قبلي(٢)

وإنّي الذي لا بدَّ أنْ سَيُصِيْبُهُ
حِمَامُ المَنَايَا مِنْ وَفَاةٍ ومَنْ قَتْلِ(٣)

فما أنا بالباقي، ولا الدهرُ، فاعلمي
براضٍ بما قد كان أذهبَ من عقلي(٤)

إليك أمير المؤمنينَ أَنَخْتُها
إلى خَيْرِ مَنْ حُلَّتْ له عُقَدُ الرَّحلِ(٥)

(*) الديوان ـ ج ١ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(١) يقول: إن مصائب الدهر العجيبة ألمت به وإنه سلاها لأنها تدع المرء يذهل ويسلو.

(٢) يعني أنه سيموت كما مات من قبله أناس كثيرون وهو يتبع آثارهم.

(٣) يقول إنه إما أن يموت حتف أنفه أو أنه يموت قتيلاً.

(٤) يخاطب امرأة موهومة.

(٥) يقول: إنه أفضل من ينتجع وتنزل عنه المطايا.

إلى خَيـرِهمْ فيهمْ قـديمـاً وحـادثـاً
مع الحِلْم والايمانِ والنائلِ الجَزْلِ [1]
ورثتَ أبـاكَ المُـلك تجـري بسمـتِـهِ
كذلكَ خُـوطُ النبع ينبتُ في الأصـلِ [2]
كَـدَاوُدَ إذْ ولـى سـليـمـانَ بَـعْـدَهُ
خِـلاَفَتَـهُ نِحْـلاً مِنَ الله ذي الفضـلِ [3]
يسـوسُ من الحلم الـذي كـان راجحـاً
بـأجبالِ سلمى من وفـاء ومن عـدلِ [4]
هـو القمـرُ البـدرُ الـذي يُهتـدى بِـهِ
إذا ما ذوو الأضغانِ جاروا عن السُّبلِ [5]
قضيتَ قضـاءً في الخـلافـة ثـابتـاً
مُبينـاً فقد أسمعتَ من كـان ذا عقلِ [6]
حبـاك بهـا الله الـذي هـو سـاقهـا
إليـكَ فقـدْ أبـلاكَ أفضـلَ مـا يبلي [7]

---

(١) النائل: العطاء.

(٢) السمت: القصد. الخوط: الغصن. النبع: ضرب من الشجر الصلب اللين.

(٣) يقرنه بسليمان ووالده بداوود ويقول إن الله عينه خليفة.

(٤) يمتدحه بالعدل والحلم الذي يوازن الجبال.

(٥) يقول إنه السيد، الذي ينير السبيل السوي.

(٦) يقول إنه عادل في القضاء مقنع لذوي العقول.

(٧) يقول إنه حملك إياها كخير حمل يُحْمل وجربك بها خير تجربة.

يبدأ قصيدته بمطلع وجداني، فيه العاطفة والشعور، وفيه نوع من الفلسفة التي جاءت بشكل عرضي. فهو الانسان الذي ألمت به المصائب والرزايا، وتحمل قسوة الحياة، ولكنه سلاها. وأيقن أنه سيموت، وهذه نتيجة حتمية لكل كائن حي، وميتته ستكون طبيعية، وإما قتلاً. وبالنتيجة تتعدد الأسباب والموت واحد. والدهر لا يكتفي بما أنزل به من خطوب جسام ويحاول أن يسلبه عقله.

ثم ينتقل لموضوعه الأساسي في القصيدة وهو المدح. فالوليد ابن عبد الملك بنظره هو أفضل خليفة تقصده الناس، وتنزل عنده المطايا. وهو خير الخلفاء القدماء والمحدثين، لما يتحلى به من صفات الحلم والإيمان، والكرم والجود. هو الذي جرى على غرار أبيه عبد الملك في سياسة الرعية والعدل بين الناس. وهو فرع من أصل شريف وكريم، ويقرنه هنا بسليمان النبي ووالده داود ويقول إن الله عينه خليفة، والخلافة بالنسبة له قضاء من الله ولا مرد لقضائه. ومن اختاره الله لا بد من أن يكون عادلاً وحالماً وجميلاً. وهو نور البدر الذي يضيء سبل العامة في ليلها المظلم. وهو عادل في قضائه، مقنع لذوي العقول والحجى. وهذه المسؤولية التي أناطها الله بالخليفة، حملها الوليد وكان خير الحاملين، وإنّ الله جربه بها خير تجربة، فكان لها، وأرضى الرعية والله في آن واحد.

ويمدح آل المهلب. فيقول(*):

لأمْـدَحَـنَّ بنـي الـمُـهَـلّبِ مِـدْحَـةً
غـرّاءَ ظـاهِـرَةً عـلى الأشْـعَـارِ[1]

مِثْـلَ النجُـومِ، أمَـامَهـا قمـرٌ مَهَـا
يَجْلُو الدُّجَى ويضيء ليـل السـاري[2]

وَرِثُـوا الـطِعَـانَ عن المُهَلّبِ والقِـرَى
وخَـلاَئِـقـاً كـتـدفـقِ الأنـهـارِ[3]

أمّـا البنـونَ فـإنّـهُـمْ لـم يُـورَثُـوا
كَـتُـراثـهِ لِبَـنِـيْـهِ يَـوْمَ فـخـارِ[4]

كـلّ المكـارِمِ عن يـديـه تَقَـسّمـوا
إذ مـاتَ رزق أرامـلِ الأمـصـارِ[5]

كـان الـمـهـلب لـلعـراقِ سـكـيـنـةً
وَحَيَـا الـربيـعِ وَمَـعْقِـلَ الفُـرّارِ[6]

كَـمْ من غـنًـى فـتـحَ الإلـهُ لـهـمْ بِـهِ
والـخـيـلُ مُـقْـعِـيَـةٌ عـلى الأقـتـارِ[7]

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٩٥ - ٥٠١.

(١) يقول: إنه يمدحهم أفضل مديح.

(٢) الساري: السائر ليلاً.

(٣) القرى: الضيافة.

(٤) يقول: إنه لا مثيل للتراث الذي خلفه لأبنائه.

(٥) المكارم: الصفات الحسنة.

(٦) سكينة: أمناً.

(٧) المقعية: المقيمة على مؤخرتها. الأقتار: الجوانب.

إنــي رأيــتُ يــزيــدَ عــنــد شـبـابــه
لـبس الـتّـقَى ومـهـابـةَ الـجـبّـارِ

مَـلِكٌ عَلَيْـهِ مـهـابـةُ المَـلِكِ الـتـقـي
قَـمَـرُ الـتّـمـامِ بِـهِ وشمسُ نـهـارِ

وإذا الـرجـال رأوا يـزيـدَ رأيـتَهُـمْ
خُضُعَ الـرّقـابِ نـواكسَ الأبـصـار

أيـزيـدُ إنـكَ لـلمـهَـلّبِ أدركـتْ
كَـفّـاكَ خَـيـرَ خـلائـقِ الأخـيـارِ

أمـا الـعـراقُ فلم يـكـنْ يُـرجى بـه
حـتـى رَجِـعْـتَ عـواقبُ الأطـهـارِ[1]

فـجـمـعـتَ بَـعْـدَ تَـفـرّقٍ أجـنـادَهُ
وأقـمْـتَ مَـيْـلَ بـنـائِـهِ الـمـنـهـارِ

ولـيـنـزِلَـن بـجـيـلِ جـيـلانَ الـذي
تـرك الـبـحـيـرةَ مُـحْـصَـدَ الأمـرارِ[2]

جـيش يسـيـر إلـيـه مـلتـمسُ الـقِـرَى
غـصـبـاً بـكـلِّ مُـسَـوّمٍ جَـرّارِ[3]

---

(١) يقول إن العراقيين كانو خائفين شغلوا عن الإنجاب بالوجل والقلق.

(٢) جيلان: قوم من الفرس. الجيل: الجماعة. المحصد: المفتول. الأمرار: الحبال.

(٣) القرى: الضيافة. غصباً: كرهاً. المسوم: المعلم. الجرار: الشديد الزحف.

لَجِبٍ يَضيقُ بـه الفضـاءُ إذا غـدوا
وأرى السـمـاءَ بـغـابـةٍ وغبـارِ[1]
وطئتْ جيـادُ يـزيـدَ كـلَّ مـدينـةٍ
بينَ الـرُّدُومِ وبيـنَ نَـخْـلِ وَبـارِ[2]
يحمي المكـارمَ بـالسيـوف إذا عـلا
صوتُ الظُّبَـاتِ يُطِرْنَ كُـلَّ شرارِ[3]
إنَّ القصـور بجيـلِ جيـلان التـي
أعيتْ معـاقِلُهـا بنـي الأحـرارِ[4]
فُتِحَتْ بسيفِ بني المهلبِ إنهـا
لله عَـادَتُـهُـمْ عـلى الـكُـفَّـارِ[5]
غَلَبُـوا بـأنَّهُـمُ الفـوارِسُ فـي الـوغى
والأكـثـرونَ غـداةَ كُـلِّ كِـثـارِ[6]
والأحلمـون إذا الحلوم تـهـزهـزتْ
بـالقـوم ليس حُـلُومُهُـمْ بصغـارِ[7]

---

(١) اللجب: الصاخب.

(٢) الردوم ونخل وبار: موضعان في بلاد العرب.

(٣) الظبات: جمع ظبة، حد السيف.

(٤ ـ ٥) يقول: إن القصور التي كانت في جيلان والتي عجز عنها بنو الأحرار أي الفرس فتحها أبناء المهلب.

(٦) الوغى: الحرب.

(٧) صفات الحلم والفروسية لبني المهلب.

والـقـــائـــدون إذا الـجـيـــادُ تـــروحـتْ
ومضين بَعْـــدَ وجـيٍّ على الـحـــزوارِ[1]
حـتـى يَـــرِغْـنَ وهـنّ حـــول مُـصَـمَّـمٍ
بـــالـتّـــاج في خَـلَقِ الـمـلوكِ نُضَـــارِ[2]

إنه يمدح آل المهلب بأفضل مديح، حسب رأيه. فهم النجوم التي تضيء الدجى وتفتك بـالظلام. وهم الكـرام والحافـظون لتـراب آبائهم وأجـدادهم. والمهلب حينما حكم العـراق، بث الأمن والسكينة فيه، وأخصبه. وطارد الهاربين من وجه العدالة. وهذه القيمة المعنوية والمادية التي حصل عليها بني المهلب هي هبة من عند الله. لم تأتهم بواسطة قتال أو حرب.

وينتهي من العام ويصل إلى الجزء. ويبدأ بيزيد بن المهلب. فهو فتى، وتقيّ لا يميل إلى المجون، وله هيبة الجبابرة. والده قمـر، وأمـه شمس، وبهـــذا اكتسب الجمـال ومحبـــة النـاس واطمئنانهم له. وهو ينسب إلى أبيه إذ يعتبره الشاعر هنا أفضـل الخلق، جمالاً وقوة. لأن العراقيين كانوا خائفين لغيابه، وشُغلوا بالقلق والوجل حتى قلّ الانجـاب بينهم. وجيشه قـوي ومنتصر على الأعداء بشكل دائم. إنه جيش لجب صاخب من كثرته، وانه يسد الفضاء بالغبار، وتبدو الرماح والسيوف من دونه وكأنها غابة

(١ ـ ٢) الوجي: الحفا. الحزوار: الأرض الغليظة. النضار: الكريم كالذهب.

ذات أشجار كثيرة. ، وأمه التي ولدت الذكور عرفت أن أبناءها، أو كلاً من هؤلاء يحمي مكارمه ومجده بحد السيف والدليل على ذلك أن القصور التي كانت في جيلان والتي عجز عنها بنو الأحرار أي الفرس، فتحها أبناء المهلب، وذاك دأب المهلبيين في انقضاضهم على الكفار وتأديبهم. والقوة عندهم ترفد بالعقل الراجح، فعقولهم لا تهزها الأمور الجلل. حتى إنّ خيولهم تغزو وتجري حافية على الأرض الغليظة، وتعود إلى كنف أصحابها المهلبيين، وهم ملوك ذوو تاج كرام.

إنّ الفرزدق في مدحه لبني أمية لم يكن صادقاً كل الصدق ولكن الظروف أجبرته على سلوك هذا الدرب، إما رغبة بالمال والتكسب، وإما رهبة من بطشهم وقوتهم. وهذا ما نلاحظه في مواقفه المتضاربة والمتناقضة. فهو الذي يعرض بهشام بن عبد الملك بعدما حبسه إثر قوله قصيدة في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين، ولم يستنكف من مدحه لمّا تبوأ سدة الخلافة. فقصد إليه في الرصافة وأنشده قصيدة يقول فيها:

رآك الله أولى الناسِ طرّاً
بأعواد الخلافة والسلام

أفيمكن أن يخلص الفرزدق في مدحه هشام ويصدق في زعمه أنّه أولى الناس بالخلافة وهو القائل فيه: «تبين الشؤم فيه وهو غلام». وحسبك أن تقابل قوله في هشام بقوله في زين العابدين

لترى الفرق بينهما، وتعلم أن الفرزدق لم يمدح هشاماً إلّا خائفاً، أو مستجدياً يستمطر الربيع لعياله، فكان شعره متكلفاً خالياً من العاطفة. وانه لم يمدح زين العابدين إلّا مشغوفاً بمناقبه ومناقب آله. فجاء شعره عاطفياً صرفاً لا أثر فيه للتلكف. وأنى يكون التكلف في قصيدة جاش بها صدر الشاعر فقذفها بيتاً إثر بيت. ويختلف أسلوبه فيها عن أسلوبه في مدح هشام، فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه، ولكنه يبث عاطفة متقدة بحب آل البيت، عاطفة تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب في الآخرة. وإذا علمنا أن زين العابدين أرسل إلى الفرزدق أربعة آلاف درهم لما بلغته القصيدة، فردها الفرزدق إليه وقال له: «إنما مدحتك بما أنت أهله». لكنه كان يطلب ويستجدي من الأمويين.

هذا هو الفرزدق الذي لم يترك خليفة وأميراً، إلّا وقال فيه الهجاء حيناً، والمديح أحياناً. إنه إنسان لم يكن على هوى بني أمية ولكنه كان يساير الظروف، وهو بهذه الصفة سياسي يعرف المواقف والرجال وتأثير الكلمة في كل مجال.

الغزل عند الفرزدق:

لم يكن الفرزدق ممن يحسنون الغزل والتشبيب بالنساء، فإذا نسب جاء قوله غليظاً جافياً لا ترتاح إليه النفوس. وكان يشعر بتصلب عاطفته وخشونة تشبيبه فيقول: «ما أحوج جريراً مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره مع شدة فسقي».

وقد يخرج في غزله إلى المعاني الوحشية السمجة التي تنبو عنها الأذواق كقوله:

فيا ليتَنَا كنا بعيرين، لا نُرى
على مَنْهَلٍ، إلا نُشَلّ، ونقذفُ[1]
كلانا به عَرٌّ يُخافُ قِرافُهُ
على الناس، مَطليٌّ المساعر أخشفُ[2]

إنه غزل جاف، فيه المشاكسة والخلاف. صادر عن طبع ناشف لا يدرك المرامي التي تريدها النساء وهي الكلمة الحلوة الطرية، والمعاني الجميلة الناعمة.

فكل ما يتمناه لنفسه ولمن يحبها أن يكونا بعيرين جربين بعدين عن الناس لأن الناس بطبيعة الحال تخشى مخالطتهما. فإذا وردا المناهل طردا وقذفا بالحجارة، وهما لشدة جربهما يبس جلدهما وطليت مساعرهما بالقطران، وكل ما يتمناه الانفراد بالحبيبة والابتعاد بها عن العالم، فاشتهى لها وله هذه الشهوة الممقوتة. والحقيقة أنه لو هجا في مثل هذه المعاني لكان لكتب له التوفيق، ولكن غزله هنا جاء بعيداً عن الصفات الجميلة والرقيقة التي يجب أن تكون في الغزل.

---

(1) بعيرين. جملين. المنهال: مورد الماء. نشل: نطرد. نقذف: نرمي بالحجارة.
(2) العر: الجرب. قرافه: مخالطته. المساعر: أصول الفخذين والإبطين. أخشف: يابس الجلد من الجرب.

دَعَـوْنَ بـقضبـان الأراكِ التي جَنَى
لهـا الـركبُ من نعمانَ أيّام عـرّفـوا[1]
فَمِحْنَ بـه عـذبـاً رُضابـاً بـأغـروبـة
رقـاقٌ وأعـلى حَيْـثُ رُكّبْـنَ أعجـفُ[2]
لَـبِسْـنَ الفِـرِنْـدَ الـخسـروانـيَّ دُونَـه
مشـاعـرَ مِنْ خَـزِّ العراقِ المُفـوَّفُ[3]
فـكيـفَ بـمـحـبـوسٍ دعـاني وَدُنَـه
دُرُوْبٌ وأبـوابٌ وقَـصْـرٌ مُـشَـرَّفُ[4]
وصُـهْبٌ لِـحـاهُمْ راكـزون رمـاحَـهمْ
لهمْ درفٌ تحتَ الـعـوالي مُـصَـفَّفُ[5]
وضـاريـةٌ مـا مـرَّ إلّا اقـتـسـمـنَـهُ
عَلَيْهِنَّ خَـوّاضٌ إلى الـطِّنءِ مِخْشَفُ[6]

---

(١) يقول: إنهن يتسوكن بالمساويك التي جلبت من موضع النعمان، وقد أتى بها الركبان يوم حجوا في عرفات.

(٢) مِحْنَ: سقين. الغروب: التشقق في الأسنان. الأعجف: الضعيف اللثة.

(٣) الفرند: الثوب الفارسي وأصلها البرند، الخسرواني: نسبة إلى خراسان.
المشاعر: الثوب يرتدى على شعر الجسد، المفوف: الكثير التخطيط والتنميق.

(٤) يقول: راود امرأة محبوسة في خدرها، وقد أنفذت إليه رسولاً من دونها الحراس والدروب الكثيرة، والأبواب المغلقة، والقصر المنيف.

(٥) صهب اللحى: أراد حرساً رومياً.

(٦) ضارية: أي كلاب ضارية، اقتسمنه: أي اقتسمن نهشه بينهن. الخواض: الجريء، الطنء: الريبة. مخشف: سريع مروره.

يُبلِّغُنَا عنها بِغَيْرِ كلامِهَا
إلينا من القَصْرِ البَنانُ المُطرَّفُ[1]

دعوتُ الذي سوى السموات أيْدُهُ
ولَلّهُ أدنى من وريدي وألطفُ[2]

ليشغَلَ عني بعلها بزمانةٍ
تُدلِّهُهُ عَنِّي وعَنْهَا فَنُسْعَفُ[3]

بما في فؤادينا من الهم والهوى
فيبرأُ منهاضُ الفؤاد المُسقَّفُ[4]

فأرسَلَ في عينيه ماءً عَلاهُمَا
وقد عَلِموا أني أطبُّ وأعرَفُ[5]

فداويتُهُ عامين وهي قريبةٌ
أراها وتدنو لي مِرَاراً فأرْشُفُ[6]

---

(١) المطرف: المخضوب الأطراف.

(٢) أيده: قوته.

(٣) زمانة: مرض. تدلهه: تذهب عقله.

(٤) منهاض الفؤاد: كسيره. المسقف: المربوط عليه خشب الجبائر أي العيدان التي تربط على الكسر.

(٥) يقول: إنه يطلب أن يرسل إلى عيني الزوج ماء أزرق أو أسود يعميهما، ويُطْلَبَ إليه الشاعر على أنه الطبيب المداوي.

(٦) يقول إنه يظل يداويه عامين وهي دانية منه يترشف ثغرها.

ومن غزله المقبول نسبياً قوله *

عَـزَفْتُ بـأعشــاشٍ وما كِــدْتَ تَعْـزِفُ
وأنكـرتَ مِنْ حَـدْرَاءَ مـا كنتَ تعـرفُ[1]

ولــجَّ بـك الهجــرانُ، حتى كــأنَّـمــا
ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تيلفُ[2]

لجـاجـةُ صُـرْمٍ ليس بـالـوصـل إنَّمــا
أخـو الوصـلِ من يَـدْنُـو ومَنْ يتلطفُ[3]

إذا انتبهتْ حـدراءُ من نــومــةِ الضحى
دعـتْ وعليـهــا دَرْعُ خَــزٍّ وَمِــطْرَفُ[4]

بــأخـضــر من نـعمــانَ ثـم جَلَتْ بــه
عِــذَابَ الثنـايــا طَيِّبـاً حين يُــرشَفُ[5]

ومــســتــنفــزات لــلقـلوب كــأنّــهــا
مَهــا حــول منتــوجــاتِــهِ يتصــرفُ[6]

(*) الديوان: ـ ج ٢ ـ ص ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧.

(١) عزفت: صدفت، وانصرفت. أعشاش: موضع. حدراء: اسم امرأة الشاعر.

(٢) تيلف: تألف، وهي لغة تميم.

(٣) الصرم: القطع.

(٤) يقول إن حدراء منصحة، وإنها حين تستيقظ في الغداة وتنادي الخدام وترتدي لباس الخز والمطارف. .

(٥) الأخضر: أي مسواك أخضر. نعمان: موضع بناحية عرفات.

(٦) مستنفزات: محركات. منتوجاته: أراد بها أولاده. يتصرف: يروح ويجيء.

إذا هـنَّ سـاقـطْنَ الحـديثَ كـأنّـه
جنى النّخْـلِ أو أبكـارُ كَـرْمٍ يُقَـطَّفُ[1]

مـوانـعُ لـلأسـرار إلاّ لأهْـلِهَـا
وَيُخلِفْنَ مـا ظنّ الغيـورُ المشفشِفُ[2]

يُحَـدِّثْنَ بعـد اليـأس من غيـر ريبـةٍ
أحـاديث تشفي المـدنفِينَ وَتَشْغَـفُ[3]

إذا القُنْبُضَـاتُ السّودُ طـوّفنَ بـالضحى
رَقَـدْنَ عليهنَّ الحجـالُ المُسَجَّـفُ[4]

وإن نَـبّهـتْـهُـنّ الـولائـد بـعـدمـا
تَصَعّـدَ يَـوْمُ الصيـفِ أو كـادَ يَنْصُفُ[5]

سـلافـةُ جَفْنٍ خـالـطتـهـا تَـرِيْكَـةُ
على شفتيـهـا والـذّكيُّ الـمُسـوَّفُ[6]

فـيـا ليـتـنـا كُـنّـا بـعـيـريـن لا نَـرِدْ
عـلى مَنْـهَـلٍ إلاّ نُـشَـلَّ ونـقـذفُ[7]

---

(١) مساقطة الكلام: أن يتكلم شخص فيصغي إليه آخر ثم يسكت فيتكلم غيره وهكذا دواليك. أبكار الكرم: العنب.

(٢) موانع للأسرار: أي أنهن لا يتزوجن إلاّ من كان كفؤاً لهن. المشفشف: أصلها المشفف، كرر الشين، وهو المفتش عن المساوىء.

(٣) المدنف: المتيم حباً. تشغف: أي تصيب شغاف القلب.

(٤) القنبضة: المرأة القصيرة. الحجال: الستر. المسجف: له ستران على الباب.

(٥) يقول: إنهن يُوقظن في منتصف النهار وحين ينتشر الحر.

(٦) السلافة: الخمرة. المسوف: الطيب الذي يشتم.

(٧) نشل: نطرد، ونقذف بالحجارة.

كـلانـا بـه عَـرٌّ يُـخَـافُ قِـرَافُـهُ
على النّاس مُطْلِيٌّ المسـاعِرِ أخشَفُ[1]
بـأرضٍ خـلاءٍ وحـدنـا وثـيـابنـا
مِنَ الـرَّيْطِ والـديبـاجِ دِرْعٌ ومِلْحَفُ[2]
ولا زاد إلّا فـضـلتـان: سُـلاَفَـةٌ
وأبيضُ من مـاءِ الغمـامـة قـرقـفُ[3]
وأشـلاء لحم من حبـارى يَصِيْـدُهـا
إذا نـحن شئنـا صـاحب مُتَـأَلِّفُ[4]
لنـا مـا تمنينـا من الـعيش مـا دعـا
هـديـلاً حمـامـاتٌ بنعمـان هُتَّفُ[5]

إننا أمام لوحة غزلية وجدانية. أمام صورة من صور الفرزدق. إذ نراه حائراً متألماً لما آل إليه وضعه بعدما تركته زوجته حدراء وأبقته وحيداً يقاسي ألم البعد والجفاء، في بيت أصبح ملعب ذكريات الشاعر، ويكاد أن يصبح قبره، بعدما آلمه الفراق، وإنه لا يعلم عنها شيئاً، وكأنه يلومها لأنها هي التي ألحت بقطعه وهجرانه، وإنه أبدى لها الحب والعطف والحنان.

---

(١) العر: الجرب، قرافه: مخالطته. الأخشف: الجلد اليابس. وقد عيب الفرزدق على هذه الأمنية الحيوانية.

(٢) الريط: الواحدة ريطة، كل ثوب يشبه الملحفة. درع: ثوب تلبسه المرأة.

(٣) السلافة: الخمر. القرقف: الماء البارد.

(٤) الحبارى: طائر. المتألف: الذي ربيناه وتألفناه.

(٥) ما دعا هديلاً: يريد أن يكون عيشهما هذا دائماً ما دام الحمام يهتف بنعمان.

ويبقينا في الصورة مع حدراء ليصف دقائق الأمور معها. فهي الإنسانة المرفهة المنعمة. إنها حين تستيقظ في الغداة لا تفعل شيئاً، فالخدم تقوم بتلك الأعمال وهي تناديهم وترتدي لباس الخز والمطارف، وتستعمل السواك الأخضر في تنظيف أسنانها الطيبة عند الارتشاف، وهي كالمهاحول أولادها تقبل وتدبر، وحديثها يشبه طيب العسل وطعم العنب البكر الذي قطف لتوه. وإنهن لا يتزوجن سراً ممن لا يكون كفؤاً لهن، كما أنهن يُخيبن ظنّ الغيور المتحري عن أخبار. وهنا يستعمل صيغة الجمع في حديثه ورسم صوره. وإنهن يحدثن المتيم بهن ويشغفنه. وهنا يقوم بمقابلة بين زوجته ـ أو زوجاته ـ وبين النساء الأخريات. فبينما تذهب النساء إلى العمل، تبقى زوجاته في بيوتهن وعليهن الأسترة الكثيرة. وهذا دليل رعاية وحب للمرأة وأنهن لا ينهضن كما تنهض النساء في الصباح الباكر للعمل، بل يبقين في أسرتهن حتى منتصف النهار، وحين اشتداد الحر وانتشاره. وعند النهوض يتسوكن بالمساويك التي جلبت من موضع النعمان وقد أتى بها الركبان يوم حجوا في عرفات. ويصف الأسنان وصفاً نقلياً مباشراً ويقول إنهن يتسوكن بأسنان ذات غروب رقيقة وإن اللثة حيث ركبت الأسنان ضامرة وليست سمينة. ولباسهن من الخزّ الموشى المجلوب من خراسان والعراق. وهنا تبدأ مغامرته مع امرأة محبوسة في خدرها، ومحروسة من حراس من بلاد الروم، صهب اللحى، شقر، يرتدون التروس تحت الرماح، ويحرسها كذلك

كلاب ضارية لا يمر امرؤ من دونها حتى تتقاسم تمزيقه بأنيابها. والمرأة المقصودة عنده لا تعرفه ولم تكلمه، وإنما تشير إليه بأناملها المخضبة، وهنا يدعو الفرزدق الله وعونه في هذه الحال الصعبة، والله أدنى إليه من وريده. ويطلب أن يشغل زوجها بالمرض، لكي يلتقيا ويشفي قلبيهما المحطمين والطبيب للزوج هنا هو الشاعر ذاته الذي يتمنى أن يرسل إلى عيني الزوج ماء أزرق أو أسود ليعميهما. وبقي الشاعر يداوي الزوج عامين كاملين، والزوجة بجانبه يرتشف دموعها التي تبلغ الثغر. وطيبها الجميل يفوح بكل الأرجاء.

لكن المفاجأة بعد هذا كله، بما يتمناه الشاعر له ولحبيبته. يتمنى أن يكونا مصابين بالجرب، طليا بالقطران، ولا يُقاربان. وقد تنفس الشاعر عن ذاته البدائية الوحشية في حال الوجد، واستعار من بيئة البادية للشوق ما لا يساغ وبالرغم من حالة الجرب والقطران يتمنى أن يقيم مع حبيبته في مكان خلاء، ليس معهما سوى الخمرة والماء ولحم الطيور يصيدها لهما إلف أليف، وهذا حلم مفعم بالوجد الرومانسي وفقاً للتعبير الحديث المعاصر، ولكنه كُبِي واقع الشاعر الجاف ونفسيته وبيئته.

والواضح في هذه القصيدة أن الفرزدق لم يمتلك الرقة والإحساس في غزله وجاءت صوره باهتة، وتعبيره مباشراً، بعيداً عن الشعور، وأسلوب التقرير واضح وبائن. وفي كثير من الأبيات

ترى العبارات في غاية النثرية والذي ينفر الذوق بعد ذلك كله تلك الأمنية التي يتمناها والتي أتينا على ذكرها حيث المعاني البدائية الوحشية السمجة التي تنبو عن كل الأذواق.

وتجد في ديوانه قصيدة من القصص الغرامي، يروي فيها خبر زيارة ليلية. هي أشبه بزيارة ابن أبي ربيعة أو زيارة امرىء القيس ولكنه يقصر عنهما في السرد والحوار. ولا يجاريهما في الرقة ولطف التعبير فمنها قوله:

فمـا زِلتُ حتى أصعـدتني جِبـالُـهـا
إليهـا، وليلي قـد تخـامص آخـره[١]

فإذا بلغ إليها ووصل، لا يسمعك حواراً بينهما كما يسمعك الملك الضليل، وفتى قريش. بل يلتقيها صامتة ما تنبس ببنت شفة، فيصف مجلسه بأبيات ثلاثة[*]:

فلمـا اجتمعنـا في العـلالي بيننـا
ذَكيٌّ أتى من أهـلِ دارِينَ تـاجِـرُهْ[٢]
نَقَعْتُ غليـل النفسِ إلاّ لُبَـانَـة
أبَتْ مِنْ فؤادي لم ترمها ضَمَـائِـرُهْ[٣]

(١) تخامص الليل: رقت ظلمته عند السحر.
(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣٥٧.
(٢) الذكي: الطيب. دارين: موضع باليمن.
(٣) نقعت: رويت غليل النفس. لبانة: حاجة. أبت: عصت.

فلم أر منزولاً به بعد هَجْعةٍ
ألذَّ قِرى لولا الذي قد نُحاذِرُه[1]

أي أنه حينما اختلى بها ، فاح بينهما الطيب الذي أتى به تاجره من دارين بالبحرين ـ وأنه روى ظمأه، وحقق غايته إلاّ واحدة تعصت وأقامت في ضميره. وأنه لم يكد ينزل في منزل يطيب فيه القرى وإكرام الضيف لولا ما كانوا يخشونه من الطارئين.

ثم يقول ذاكراً تخوفه من الرجوع :

أُحَاذِرُ بوابين قد وُكّلا بها
وأسمر من ساج تَئِطُّ مَسامِرُه[2]

وهنا يسألها :

فَقُلْتُ لها: كيف النزول؟ فإنني
أرى الليل قد وَلّى وصَوّت طائِرُه[3]

فتجيبه بقولها مظهرة المصاعب التي تكتنفه(*) :

فقالت: أقاليدُ الرتاجين عنده
وطهمانُ بالأبواب، كيف تساوره

(١) نحاذره : نخشاه، نخافه .

(٢) الساج : الخشب . تئط : تصر وتصوت .

(٣) يقول إنه تحرى منها كيف النزول، والليل قد مضى وبات الطير يصوت ويغرد .

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

أبــا السيف أم كيـف التـسني لمــوثَقٍ
عليــه رقيبٌ دائبُ الليــلِ ســاهــرُه

فيطلب إليها أن تدليه بالحبال كما أصعدته. فتفعل وتساعدها على إنزاله رفيقة لها:

فقلتُ: تـبغـي من غيـرِ ذاك محــالــةً
ولــلأمــرِ هيئــاتٌ تُصــابُ مصــادرُه(١)

لـعــلَّ الــذي أصعــدتـني أن يَــرُدَّني
إلى الأرض إنْ لم يَقْـدِرِ الحينَ قادرُهْ(٢)

فجــاءت بــأسبــابٍ طــوالٍ وأشْــرَفَتْ
قسيمــةُ ذي زَوْرٍ مخــوفٍ تــراتــرُهْ(٣)

أخــذتُ بــأطــراف الـحبــال وإنــمــا
على الله مِنْ عَـوْصِ الأمور ميـاسـرُهْ(٤)

فـقـلتُ: اقْـعُـدا إنّ الـقـيــامَ مــزلــةٌ
وَشُـدّا معـاً بـالحبـل، إني مخـاطـره(٥)

(١) المحالة: الحيلة. هيئات: أحوال.

(٢) الحين: الموت.

(٣) الأسباب: الحبال. أشرفت: بانت. القسيمة: الملح. الزور: الزيارة. التراتر: الشدائد.

(٤) العوص: الأمور الشديدة. مياسره: التيسير.

(٥) يقول إنه طلب منهما أن تجلسا وأن تشدا بالحبل، وإنه سيخاطر بالنزول متدلياً.

إذا قلتُ قد نلتُ البلاطَ تذبذبتْ
حبالى في نِيقٍ مَخوفٍ مَخاصِرُه[1]

مُنيفٍ ترى العِقْبَانَ تقصُرُ دونَهُ
ودونَ كُبَيْداتِ السماء مناظِرُه[2]

فلما استوتْ رجلاي في الأرض نادتا
أحَيٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذره؟ [3]

فقلتُ: ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا
ووليتُ في أعجاز ليلٍ أبادرُه[4]

هما ولتاني من ثمانينَ قامَةً
كما انقضَّ بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ[5]

فأصبحت في القوم الجلوس وأصبحتْ
مغلقةً دوني عليها دساكره[6]

---

(١) البلاط: الأرض المفروشة بالبلاط. تذبذبت: اضطربت. النيق: الجبل. مخاصره: مراقيه.
(٢) المنيف: العالي. يقول إنه قصر عال لا تطاله العقبان وهو يكاد يمس كبد السماء.
(٣) ومعناه أنه لامس أخيراً الأرض فصاحت: هل أنت حي أم ميت نخشى عليه؟.
(٤) يقول إنه طلب منهما أن ترفعا الحبل وتولى هارباً في أواخر ليل ينزل في قلبه.
(٥) يقول انهما هما دلتاه من علو ثمانين قامة. وبدا كأنه البازي الذي انقض وهو أسود الريش كاسر، ينحدر في طلب الفريسة.
(٦) يقول انه نزل وأصبح بين الناس الجلوس دونه. ولم يعد له قِبَلٌ بارتياد ذلك القصر وقبابه ممنوعة عنه.

وبـــاتـتْ كـــدوداة الجـــواري وبـطلهـــا
كَـثِـيْـرٌ دَوَاعِـــي بـــطِنِـهِ وقـــراقـــره[١]
ويحسبهـا بـاتَتْ حصـانـاً وقـــد جرتْ
لنـا بُـرَتَـاهَـا بـالـذي أنـــا شـاكـــره[٢]
فـيـا ربِّ إن تغـفــر لنــا لـيلة النـقـا
فكل ذنـــوبي أنـت يـــا ربِّ غـــافــرُه[٣]

حواره هنا باهت وفاتر. لا حياة فيه ولا روح. وكل ما عناه أنه مغامر فذ. وجاءت الحقيقة غير ذلك. فالشعور جامد، والأحاسيس متحجرة. وحركة الحوار بائسة لا روح فيها ولا حركة. وصوره باهتة لا تصغي إليها النفس. والحقيقة تأتي على لسانه يقول: «ما أحوج جريراً مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره مع شدة فسقي».

ويقول متغزلاً(*):

عَـجِبْـتُ لحــادِيْـنَـــا المُقَـحِّـمِ سَـيْـرُهُ
بِنَـا مُـزْجِـفَــاتٍ من كَـلالٍ وَظُـلَّعــا[٤]

---

(١) الدوداة: الأرجوحة. قراقره: أي قرقرة بطنه.
(٢) الحصان: العفيفة. برتلها: خلخالها.
(٣) النقا: منقطع الرمل. إنه يطلب من الله أن يغفر له ما فعل في ليلة النقا ويُردف بأنه إذا ما غفر له الله ذلك، فإنه يكون قد غفر ذنوبه كلها.
(*) الديوان ج ٢ ـ ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٤) الحادي: سائق الإبل. المقحم سيره: الجاد في المسير.

لِيُدْنِينَنا مِمَّنْ إليـنا لِقَاؤه
حَبِيبٌ ومِنْ دارٍ أردنا لِتَجْمَعا[1]
ولو نعلمُ العلمَ الذي من أمامنا
لكرَّبنا الحادي الركابَ فأسْرَعَا[2]
لقلتُ ارْجِعَنْها إنّ لي من وَرَائها
خَذُولَيْ صِوَارٍ بينَ قُفٍّ وأجْزَعَا[3]
مِنَ العوجِ أعناقاً عِقَالٌ أبوهما
تكونانِ للعينين والقلب معا[4]
نَوَارُ لها يومان: يومٌ غَرِيرَةٌ
ويومٌ كَغَرْثَى جِرْوُهَا قَدْ تَيفَعا[5]
يقولون زُرْ حدراء والترب دونها
وكيف بشيء وصلُهُ قد تَقَطّعَا[6]
ولستُ وإن عَزّتْ عليّ بزائرٍ
تُراباً على مَرْسُومَةٍ قد تَضَعْضَعَا[7]

---

(١) ليدنيننا: ليقربنا.

(٢) يقول إنها لو علمت من تنتجع لضاعف الحادي من عدوها.

(٣) الخذول: البقرة الوحشية. الصوار: قطيع البقر الوحشية. قف وأجزع: مكانان.

(٤) يقول إنهما يرويان العين والقلب وإنهما من بني عقال وإنهما طويلتا العنقين.

(٥) الغرثى: اللبوة.

(٦) يقول: انهم يطلبون منه زيارة حدراء زوجته التي طلقها. والموت أقرب من اللقاء بينهما كما يبدو.

(٧) المرسومة: المدفونة. تضعضع: اطمأن.

وأهــونُ مَـفْقُــودٍ، إذا الـمــوتُ نَــالَـهُ
على المـرءِ من أصحـابِــهِ من تقنّعـا[1]
يقــولُ ابنُ خَنْــزِيــرٍ بكيتَ، ولم تكـنْ
على امــرأةٍ عَيْني، إخـالُ لِتَــدْمَعَا[2]
وأهــونُ رُزْءٍ لامــريءٍ غـيــرِ عــاجــزٍ
رزيــةُ مُــرتــجِ الــروادِفِ أفــرعــا[3]
ومــا مــاتَ عِنْــدَ ابنِ المَـرَاغَــةِ مِثْلُهــا
ولا تَبِعَتْــهُ ظــاعِنــاً حَيْثُ دَعْــدَعَــا[4]

في هذه القصيدة غزل على طريقة الفرزدق. إذ لا تخلو من العاطفة التي تـدفعه إلى التـذكر، وأمـاكن الأحبة، مثـل زوجته حدراء.

ويـرسم صورة جميلة لـذلك الحـادي الذي يـسوق الإبـل، ويتعسف في سوقها حتى بدت وكأنها تزحف وتحبو من كلالها، وكـانــت تعرج وتظلع عاجزة عن إكمال العدو والمسير. وكل هذه السرعة الخاطفة ليدنـو الفرزدق ممن يحب، ومن يؤثـر أن يجتمع وإياه في دار الإلفة والمودة. ولو علمت الإبل ما يجيش

---

(١) تقنع: لبس الحجاب.

(٢) يقول: إن جريراً يعيره ببكائه على زوجته وهو لم يبكِ قط امرأة.

(٣) مرتج الروادف: المرأة التي ترتجف أردافها حين تسير. الأفرع: الطويل. الفرع: الشعر.

(٤) دعدع: صاح. ظاعناً: مرتحلاً.

بنفسية الشاعر لضاعفت من عدوها. وفي هذه اللحظة لحظة الابتعاد عن الديار والأهل تثور عاطفة الفرزدق، ويتمنى ويود أن يطلب من الحادي المتعجل أن يرجع به إلى ذينك الموضعين حيث خَلّف امرأتين جميلتين، كبقرتين وحشيتين. وهما يرويان العيس والقلب، إنهما من بني عقال، وانهما طويلتا العنق وإن ذينك المرأتين هما زوجتاه: نوار وحدراء، ونوار تلك المرأة الغريرة المدلة، وهي كاللبؤة ويطلب الناس منه أن يزور حدراء التي تقيم بين صواحبها، لكن أنّى له ذلك وقد جرى بينهما الطلاق، والموت أقرب إليهما من اللقاء بحد ذاته.

وينتقل إلى جرير الذي يزور قبر زوجته. وهذا عار بالنسبة للفرزدق إذ ان أهون شيء على المرء هو موت زوجته ـ وهذه غلظة ما بعدها غلظة ـ وهذه صورة ولوحةٌ من لوحاته الغزلية الوجدانية. التي يبث فيها أحاسيسه وشعوره تجاه من أحب[*]:

يـا أُخْـتَ نـاجِيَـةَ بْـنِ سَـامَـةَ إنَّنـي
أخْشَى عَلَيْـكِ بَنـيَّ إنْ طَلَبُـوا دمـي[1]
لـن يَـقْـبَـلُوا دِيَـةً، ولـيـسـوا أو يَـرُوْا
مِنِّي الـوَفَـاءَ، ولَـنْ يَـرَوْهُ بِنَـوَمِ[2]

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣٢٩ وما بعدها.

(١) أخشى: أخاف.

(٢) دية: فدية.

فالموتُ أرْوَحُ من حياةٍ هكذا
إن أنتِ منْكِ بنائلٍ لم تُنْعِمي [1]
هل أنتِ راجِعَةٌ وأنتِ صَحِيْحَةٌ
لِبَنيَّ شِلْو أبيهِمُ المتقسَّمِ [2]
ولقد ضَنِيْتُ من النساءِ ولا أرى
كَضَنِّي بنفسي مِنْكِ أُمَّ الهيثمِ [3]
كيفَ السلامةُ بعدما تَيَّمْتِني
وتركتِ قلبي مثلَ قلبِ الأيْهَمِ [4]
قطعتِ نفسي ما تجيءُ سَريحةً
وتَرَكْتِني دَنِفاً عُرَاقَ الأعظُمِ [5]
ولقد رميتِ إليَّ رميةَ قاتلٍ
من مُقْلَتَيْكِ وعارضيكِ بأسهمِ [6]
فأصبتِ من كبدي حشاشةَ عاشقٍ
وقتلتني بسلاحِ من لم يُكْلَمِ [7]

---

(١) أروح: أسهل.

(٢) يطلب منها أن تمن عليه لترد لأبنائه ما تبقى من أبيهم وقد صار شلواً هالكاً.

(٣) ضنيت: عانيت.

(٤) يقول من أين له السلامة وقد خلفته وكأنه صريع بعقله؟

(٥) عراق الأعظم: أي أكل لحم عظمه وذاب. الدنف: المتيم بالحب.

(٦) يقول إنها: أنفذت فيه سهاماً من عينيها ووجهها.

(٧) أي إنها أصابت حشاشته، وإنه أصيب دون أن يجرح بسهم فعلي.

فـإذا خـلَفْتِ هـنـاكَ أنّـكِ مـنْ دمـي
لَـبـرِيْـئـةٌ فـتـحـللي، لا تـأثـمـي [1]

فـلأنتِ من خَـلَلِ الحِجَـالِ قَتَلْتِني
إذْ نَحْنُ بـالحَدَقِ الـذّوارِفِ نـرتمي [2]

إذ أنـتِ مُـقْـبِـلَةٌ بـعـيـنـيْ جُـؤذَرٍ
وبـجـيـدِ أُمّ أغَـنَّ لَـيْسَ بِـتَـوأَمِ [3]

وَبِـوَاضِـحٍ رَتِـلٍ تَـشِـفُّ غُـرُوبُـهُ
عَـذْبٍ، وأَذْلَـفَ طَيِّبِ المتَشَمَّمِ [4]

وكـأن فـارة تـاجـرٍ هـنـديـةً
سبقتْ إلي حـديث فيـكِ من الفمِ [5]

مـا فَـرّثَـتْ كبـدي مـن امـرأةٍ لـهـا
عـيـنـان مـن عـربٍ ولا منْ أعْـجَمِ [6]

هَـلْ أنـتِ بـايـعـتي دمـي بـغـلائِـهِ
إنْ أنتِ زفـرةَ عـاشقٍ لم تـرحمـي [7]

---

(١) يطلب منها: أن تقبل عليه لتتحلل من دمه.

(٢) الحجال: جمع الحجل. الستر تكسو به المرأة وجهها وتتغطى به.

(٣) جؤذر: البقرة الوحشية. أم أغن: ابن الظبية.

(٤) الواضح: الثغر النقي. الرتل: الحسن التنضيد، تشف: ترف. الغروب: الريق الكثير. الأذلف: الأنف الصغير المستوي الأرنبة.

(٥) فارة التاجر: وعاء المسك.

(٦) فرثت: فتتت.

(٧) يطلب منها أن تبيعه دمه وأن لا تدعه يهلك.

مـا كُنْتُ غَيْـرَ رَهِينَـةٍ مـحبـوسَـةٍ

بِـدَمٍ لأختِ بني كنـانـة مُسْلَمٍ [1]

يـا ويـحَ أخـتَ بني كـنـانـة إنّهـا

لـبخيلةٌ بـشـفـاءِ مَنْ لَـمْ يُجْـرِمِ [2]

فَـلَئِنْ سـفكـتِ دمـاً بـغيـرِ جَـرِيْـرَةٍ

لـتُخَـلَّدِنَّ مَـعَ الـعـذابِ الآلـمِ [3]

والنفسُ إنْ وجـبتْ عـليـكِ وجـدتَهـا

عبئـاً يكـونُ عليـكِ أثقـلَ مغـرمِ [4]

لـو كنتِ في كبـدِ السمـاء لـحـاولتْ

كَـفَّـايَ مُـطَّلِعـاً إلـيـك بِسُلَّمِ

لقد تناولنا من القصيدة بعض الأبيات الدالة والموحية إلى ما نصبو إليه، إلى قراءة ملامح صور الغزل عند الفـرزدق، وربما حالفه التوفيق نسبياً في هذه المقطوعة، لأن تعبيره كـان سلساً، صادقاً، وفيه شعور المحب، وأحاسيس المتأوه. وتعابيره كانت بعيدة عن بيئة الجفاف الذي امتاز به. والقسوة التي طبعت نفسه.

---

(١) يقول إنه مرتهن لتلك المرأة مسلم أمره لها.

(٢) إنه ليس بمجرم وهي لا تبرئه.

(٣) سفكت: ذرفت، أسلت. جريرة: ذنب.

(٤) يقول: إنّ نفسه إذا حسبت عليها وإنها هي التي أهلكتها، فإن ذلك سيكون أفدح غرم يثقلها.

حتى غدا غزله في بعض المقاطع والقصائد، وكأنه رمي جلاميد على رؤوس السامعين.

إنه في هذه الأبيات ينسج نسجاً آخر، نسج المحبين الولهين. إنه يخشى أن يطلب بنوه دمه لأنها سفكته بحبها. وإنهم لن يقبلوا فدية عن أبيهم صريع الحب والغرام، وربما قتلوها، إلاّ إذا رأوا منها الوفاء لأبيهم. وهو في هذه الحالة هائم يائس. إذ يفضل الموت على الحرمان الذي يعانيه بحبها، ويتذلل كي تمن عليه، وترد لأبنائه ما تبقى من أبيهم الذي صار شلواً هالكاً، من كثرة المعاناة مع النساء، ومن أين السلامة تأتيه وهو بحال تدمع العين وقد أصبح بفعلها صريعاً، وشبه مجنون. إنه في هزال وتعب، وإنها مزقت نفسه ولم يعد له قِبَلٌ بلم شعثها، إذ خلّفته مدنفاً قد برى لحم عظامه وذاب جسمه، نتيجة السهام المباشرة التي أطلقتها على قلبه من عينيها.

إنها المتهمة بقتله، وربما تقسم أنها بريئة من دمه، لكن البراءة عنده تستوجب اللقاء بينهما، إنها قتلته عبر حجابها، والأعين الدامعة لا تزال ترميه وتعطبه، والصد يفقده توازنه. فالمحب يتذكر الماضي حيث كانت تقبل عليه بعين البقرة الوحشية، وبعنق الظبية الكاملة الصحة والحسن والجمال.

إنّ سحرها خلاب، وأدوات سحرها مرئية لا يراها إلاّ العاشق الولهان، إنها سحرته بثغرها النقي، وأسنانها الحسنة التنضيد،

وأنفها الجميل الذي يتشمم الرائحة الطيبة، وهذا دليل ترف ونعمة عندها. وحديثها طيب وشذا. ويؤكد الفرزدق أنه لم يقع على مثل عينيها، تفتتان الأكبد بين العرب والعجم. ويعود ليطلب منها أن تبيعه دمه وأن لا تدعه يهلك، فالرحمة به هي حياة، والرقة منها تعني الطمأنينة.

إنه إنسان مسلوب الإرادة، مرتهن لتلك المرأة فسلم أمره لها. وهي لم تشفه ممّا هو فيه من ألم ومعاناة، مع العلم بأنه لم يجرم بحقها. وبهذا الفعل من قبلها نحوه يحذرها بأنها ستعاقب بالنار لأنها سفكت دمه دون أن يذنب، وهذا الدم المسفوك سيكون عليها أثقل من الجبل. وبالرغم من الصد والهجر والبعاد، والشكوى والألم والتحسر، فإنه مصمم على اللقاء وإنه يحاول أن يتسلق إليها بسلم حتى ولو كانت في السماء العالية.

في هذه الصورة الغزلية التي عرضناها ألوان، وأحاسيس، عبّر عنها الفرزدق بكلمات جميلة سهلة. وقد جانبه التوفيق في الرسم والقول والتبيان وإيضاح هدفه. لكن التكرار في بعض المواقف أساء للصورة فبهت لونها ولم يمح الأثر النفسي الذي تركته في نفوسنا.

الرثاء عند الفرزدق:

لم تكن عاطفة الفرزدق في الرثاء أقل تصلباً منها في الغزل. ففي كلا الموقفين لم يوفق. وذلك نتيجة لتربيته ونشأته، ونفسيته

المبنية على العداوة ومقارعة الآخرين، مما جعله يبدع في الهجاء الفاحش والمشاكسة والخلاف بينه وبين فحول شعراء عصره، ويقصر عنهم في مواضيع الغزل والرثاء؛ لأن كلا الموضعين بحاجة إلى عاطفة جياشة، وإحساس مرهف، وذوق يتكامل مع النفسية، حتى يأتي الغزل والرثاء طرياً. وعلينا أن لا ننسى أن الفرزدق في كل ميوله ونزعاته النفسية هو ابن بادية صلبة قاسية، طبعت كلماته بقساوة حبة الرمل، وجفاء الصحراء وقسوتها.

فقد مات أبوه فرثاه، وكان رثاؤه إياه جافاً(*):

نِعْمَ أبو الأضيافِ في المَحْلِ غالبٌ
إذا لبس الغادي يَدَيْهِ من البَرْدِ[1]

وما كان وَقّافاً على الضيفِ مُحْجِماً
إذا جاءه يوماً، ولا كابي الزَّنْدِ[2]

وكانَ إذا ما أَصْدَرَتْهُ مكارمُ
وَسَاوَرَ أُخْرَى غَيْرَ مُجْتَنَحِ الوِرْدِ[3]

(*) الديوان ـ ج ١ ص ٢٣٥.

(١) يقول في رثاء والده غالب إنه أبو الأضياف لأنه كان يضمهم ويطعمهم كالوالد في أيام المحل والفقر ، وفي الزمن الذي يعم فيه الصقيع حيث يرتدي فيه المرء يديه أي أنه يضعهما تحت إبطيه من الصقيع.

(٢) المحجم: المرتد والمتكص. كابي الزند: أي أن زنده لا يقدح ناراً.

(٣) أصدرته: من صدر عن الماء، عاد عنه، وأصلها في الإبل. ساور: واثب. مجتنح: المجنوح أو المعاب. الورد: الإقبال على الماء.
يقول: إنه كان يأتي المكارم ويكاد لا ينتهي منها حتى يردها من جديد.

كما نلاحظ أنه يصف والده بأوصاف جميلة ولكنه لم يوفق بأسلوبه، حيث نحس ونشعر وكأنه ينحت المعاني نحتاً. فوالده كريم، سخي، لا يحجم عن مساعدة الناس، وإيوائهم وإطعامهم، وهو مثل للمكارم إذ لا ينتهي من مكرمة حتى يبدأ بأخرى.

ويقال انه لمّا قدم الشام بلغه موت عمر بن العزيز فقال(*):

إنّ الأرامِلَ والأيتامَ قد يئسوا
وطَالِبِي العُرْفِ إذ لاقاهم الخَبَرُ[1]

انّ ابنَ ليلى بأرض النيل أدركَهُ
وهُمْ سِرَاعٌ إلى مَعْرُوفِهِ القَدَرُ[2]

لما انتهوا عِنْدَ بَابٍ كانَ نَائِلُهُ
به كثيراً ومن معروفه فَجَرُ[3]

قالوا: دَفَنّا ابنَ ليلى فاستهل لهم
مِنَ الدموع على أيامها دِرَرٌ[4]

مِنَ أعين علمتْ أن لا حجازَ لهم
ولا طعام إذا ما هبّتْ القِرَرُ[5]

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ٣١٨.

(١) يقول في رثاء عمر بن عبد العزيز إن الأرامل والأيتام يئسوا لموته، وطالبي الإحسان قنطوا حين وافاهم نعيه.

(٢) يقول ان الخليفة مات في مصر والأرامل واليتامى ساعون لطلب نواله.

(٣) الفجر: الجود والكرم.

(٤) أي انهمرت دموع طالبي الحسنة حينما أخبروا بموته ودرّت دون نضوب.

(٥) القرر: الرياح الباردة.

ظلوا على قبره يستغفرون له
وقد يقولون تاراتٍ لنا العِبَرُ[1]

يُقبلون تراباً فوق أعظمه
كما يُقَبَّلُ في المحجوبة الحجرُ[2]

لله أرضٌ أجنَّتهُ ضريحتُها
وكيفَ يُدفنُ في الملحودة القمرُ[3]

ويرثي محمد بن يوسف ومحمد بن الحجاج بن يوسف. وماتا في جمعة واحدة[*]:

لَئِنْ صَبَرَ الحجاجُ ما مِنْ مُصِيبَةٍ
تكون لِمَرْزُوءٍ أجلَّ وأوْجَعا[4]

مِنَ المُصْطَفى والمصطفى من ثقاتِهِ
خليلَيْهِ إذ بانا جميعاً فودَّعا[5]

ولو رُزِئتْ مِثْلَيْهِما هَضْبَةُ الحمى
لأصبحَ ما ذوتْ من الأرض بلقعا[6]

---

(١) يقول انهم أقاموا على قبره يصلون ويستغفرون طلباً للرحمة له، وهم نفسهم نكبوا بموته.

(٢) المحجوبة: مكة. الحجر: أي الحجر الأسود.
أي انهم يقبلون ترابه كما يقبل الحجر الأسود في مكة.

(٣) يقول إنهم دفنوا القمر في القبر ويضوي قبره.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٥ - ٣٦ - ٣٧.

(٤) يقول إنه صابر على الرزيئة.

(٥) بانا: نأيا، ماتا.

(٦) يقول: ان رزءهما حري أن يحيل الهضبة بلقعاً.

جنــاحــا عتيقٍ مــا رَقــاهُ كِــلاهُــمـــا
ولو كُــبــرًا من غيــره لتـضعـضعــا[1]
وكــانــا وكــان المــوتُ للنــاس نُهيَــةً
سِنَــانــاً وَسَيْفــاً يقــطُرُ السَّمَّ مُنْقَعــا[2]
فَــلا يَــوْمَ إلاّ يَــوْمَ مَــوْتِ خَــلِيــفَــةٍ
على النّاسِ من يوميهمـا كان أفجعـا[3]
وفـضــلاهُمــا مِـمَّــا يُعَــدّ كــلاهُــمَــا
على النّاسِ من يوميهمـا كان أوسعـا[4]
فــلا صبــر إلاّ دُونَ صَبْــرٍ على الــذي
رُزِئْتَ على يَوْمٍ من البـأسِ أشنعـا[5]
عــلى ابنــك وابــنِ الأم إذ أدركـتــهــمـــا
المنــايــا، وقــد أفْنَينَ عــاداً وتُبّعَــا[6]
فَــعَيْــنيَّ مــا الــموتى سَــوَاءٌ بُــكَــاهُمُ
فبــالدّمِ ، إنْ أنْــزَفْتُمَا المــاءَ، فأدمعـا[7]

---

(١) العتيق: هو الحجاج.

(٢) النهية: الغاية.

(٣) يقول: إنه ليس أفجع من يومهما إلاّ يوم يموت أحد الخلفاء.

(٤) يقول: إن فضليهما هـو أعظم ممّا فجع به الناس عليهما.

(٥) يقول: إنّ كل صبر هو دون صبره.

(٦) يقول: إنه لا مثيل لصبره على أخيه وابنه وقد ألم بهما الموت المحتم الذي كان قد أفنى عاداً وتبعاً منذ القدم.

(٧) يطلب من عينيه أن تسكبا الدم بدلاً من الدمع.

ولا لكُمَا لا تبكيانِ، وقد بكي
من الخزَنِ الهَضْبُ الذي قد تَقَلّعَا[1]

في هذه اللوحة من الرثاء يوجه كلامه للحجاج بن يوسف، فيصفه بأنه صابر متصبر على الرزيئة والكارثة التي ألمت به، وهي موت اثنين من أعزّ الناس لديه، ابنه وحفيده. وكانت المصيبة قد وقعت في اسبوع واحد. فتصبر الحجاج وتعالى على الجراح، بالرغم أن هذا الحدث الفاجعة يبكي ويزعزع الهضاب، ويحيلها بلقعاً. ولكن الحجاج بقي أقوى من الجبال ثابت الجنان، قوي الشكيمة، والفقيدان من الأبطال إذ كانا يقطران الموت في القتال كالسم الناقع .ويومهما فاجعة لا يعادلها بحزنها إلاّ يوم يموت أحد الخلفاء.

وبعد وصف هذه الفاجعة، وتصبر الحجاج، يطلب الفرزدق من عينيه أن تسكبا الدم بدلاً من الدمع. ولكن عينيه لم تبكيا بالرغم من الهول الكبير الذي زلزل الأرض، وحرك الجبال.

ويرثي ابنين له فيقول[*]:

بفي الشّامِتِينَ الصخرُ إنْ كانَ مَسّني
رَزِيّةُ شِبْلَيْ مُخدِرٍ في الضراغم[2]

---

(١) يطلب من عينيه أن تبكيا من بكى عليهما الهضب، وهو لا يبكي.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) بفي: بفم. الرزية: المصيبة. المخدر: الأسد. الضرغام الأسد.

هِـزَبْـرٍ إذا أشْبَـالُـه سـرْنَ حَـوْلَـهُ
تَشَظَّتْ سباعُ الأرضِ منْ ذي النحائم[1]
أرى كُـلَّ حـيٍّ لا يـزال طـليـعـةً
عليـه المنايـا، مِنْ فـروجِ المخـارمِ[2]
ومـا أحـدٌ كـان الـمـنـايـا وَرَاءهُ
ولـو عـاش أيـامـاً طِـوَالاً بسـالم[3]
فـلستُ ولـو شَـقَّتْ حيـازيمَ نَفسهـا
من الـوجـدِ بَعْـدَ ابني نَـوارَ بـلائم[4]
عـلى حَـزَنٍ بَعْـدَ الـلذيـن تَـتَـابَـعَـا
لهـا، والمنـايـا قـاطعـاتُ التمائم[5]
يُـذَكِّـرني ابنـيّ السِّماكَـانِ مَـوْهِـنـاً
إذا ارتفعـا بـينَ الـنجـومِ الـنـوائم[6]
فمـا ابنـاكِ إلاّ من النـاس فـاصبـري
فلنْ يـرْجـعَ المَـوْتَى حنينُ المـآثم[7]

---

(١) النحائم: الأصوات العالية التي يطلقها السبع أو الأسد.

(٢) المخارم: منافذ الجبال.

(٣) المنايا: جمع منية، هي الموت.

(٤) الحيازيم: جمع الحيزوم، مقدم الصدر.

(٥) التمائم: التعاويذ.

(٦) السماكان: نجمان. التوائم: المتألفة.

(٧) ابناك: الضمير عائد إلى زوجته نوار، وهي أم ولديه.

إنه رثاء تقريري، جاف، بعيد عن العاطفة والوجد، وحتى هذه المصائب والرزايا لم تحرك شعور الفرزدق. وتحمله على الإبداع في هذا المجال.

وجاء تصويره لهما خالٍ من الخيال والأحاسيس الملتهبة. فهما شبلين لأسد هصور، قد ظن أن الناس شمتت به إثر الرزية، ويدعو الشامتين لتقليم الصخور بأفواههم؛ لأن الموت يدرك الجميع في لحظة لا يترقبها الإنسان. ولا خلاص لأي مخلوق من هذا المحتوم المقدر، وبالرغم من الحدث الفاجعة الذي حلّ به وبزوجته نوار التي شقتْ صدرها ألماً على ولديها، فإنه لن يتهالك ولن يتذمر. ويبدو هنا وكأنه يحمل في صدره جلمود صخر بدل قلب ينبض بالشعور والأحاسيس. ولكنه لن يلوم زوجته على ما تفعله إثر موت ولديها الواحد تلو الآخر، ويذكرها بموت العظماء، ويعزي زوجته بأن ابنيها كانا مثل الآخرين، ولن يجديها البكاء والنحيب.

وحينما ماتت زوجته، وكان يحبها، لم يستطع رثاءها، فبكتها النوادب بشعر لجرير. وقيل له أن يزور قبرها فقال:

ولستُ وإنْ عزتْ عليّ بزائرٍ
تُراباً على مرموسةٍ قد تضعضعا[1]

---

(١) المرموسة: المدفونة في الرمس وهو القبر. تضعضع: انتثر عليها وتبدد.

وأهــونُ مـفـقــودٍ إذا الـمــوتُ نــالَــهُ
على المـرءِ من أصْحَابِـهِ، مَنْ تَقَنّعـا[1]

فكيف ترى برجل مثل الفرزدق، وترجو منه أن تلين عاطفته، ويلتهب شعوره وتثور أحاسيسه. في مثل هكذا مواقف، وهو الذي يعتبر ويرى أن المرأة أهون مفقود على الرجل!

الزهد عند الفرزدق:

نكون واهمين إذا وصفنا الفرزدق بالزهد، وجعلنا لشعره ميزة من هذه الناحية. فالزهد في حقيقته لم يعرفه الشعر العربي إلّا في العصر العباسي، بصرف النظر عمّا نجد للإمام علي بن أبي طالب من أقوال نثرية فيها من الزهد الكثير. لكن الفرزدق على ضعف الخاصة الزهدية في شعره، هو أول شاعر إسلامي أخذ بأهداب هذا الفن، فنظم قصيدة يهجو إبليس بها، ويتوب إلى ربه نادماً على أعمال وفواحش قام بها. وهي وإن تكن لا تستوعب شروط الشعر الزهدي من ذم الدنيا وملاذها، وإيراد المـواعظ والحكم والأمثال، فإنها تمثل حـالة الإقرار بالخـطيئة، وتـوبة إلى الله. وخطاب للشيطان لم يسبقه إليه شاعر قبله.

إلّا أن توبته تلك لم تكن صادقة، لأنه ارتد عنها بعد فتـرة.

---

(١) تقنع: لبس القناع. يقول: أهون فقير على المرء من أصحابه فقير يلبس القناع، ويريد به المرأة. وقوله: إذا الموت ناله، أي نال المفقود.

ومعاصروه أنفسهم لم يتلقوها بالاطمئنان لما يعهدون فيه من فحش وفجور. فإنّ ابن سلام يحدثنا بأن الفرزدق أتى الحسن ـ الحسن البصري ـ فقال له: «إني قد هجوت إبليس فاسمع». قال: «لا حاجة لنا بما تقول». قال: «لتسمعن أو لأخرجنّ فأقول إنّ الحسن ينهى عن هجاء إبليس» فقال الحسن «اسكت فإنك عن لسانه تنطق».

وهذه مقتطفات من القصيدة، وهي وحيدة في ديوانه الضخم بهذا المعنى.

وفيها يقول(*):

إذا شئتُ هاجتني دِيارٌ مُحيلَةٌ
ومربدُ أفلاء أمام خيام(١)

بحيثُ تَلاقَى الدّوُّ والحمضُ هاجتا
لعينيَّ أغراباً ذوات سجام(٢)

ألم ترني عاهدتُ ربيّ، وإنني
لَبيْنَ رِتاجٍ قائمٌ ومَقَامِ(٣)

(*) الديوان ـ ج ٢ ـ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

(١) الديار المحيلة: الديار العافية. الأفلاء: جمع الفلو أو ما إليه من صغار البهائم.

(٢) الدو: القفر. والحمض: نبات؛ وهما هنا موضعان. الأغراب: جمع الغرب مجرى الدمع من العين.

(٣) الرتاج والمقام: موضعان بمكة.

إلى أن ينتهي لمخاطبة إبليس:

أطعتكَ يا إبليس سبعينَ حجّةً
فلما انتهى شيبي، وتَمّ تمامي[١]
فررتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني
مُلاقٍ لأيام المنونِ حِمامي[٢]
ولما دنا رأسُ التي كنتُ خائفاً
وكنتُ أرى فيها لقاء لِزَامِ[٣]
حلفتُ على نفسي لأجتهدَنّها
على حالها من صحة وسقام[٤]
يظل يُمنيني على الرحل واركاً
يكونُ ورائي مرّةً وأمامي[٥]
يُبَشِّرني أن لن أموتَ وأنّهُ
سيخلدني في جنةٍ وسلام[٦]
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي
رِضاهُ ولا يقتادني بزمام[٧]

---

(١) الحجة: السنة.

(٢) المنون: الموت.

(٣) لقاء لزام: الموت.

(٤) يقول إنه أقسم أن يجهد نفسه في حالتي المرض والعافية.

(٥) الوارك: المعتمد على وركه.

(٦) يقول: انه كان يوهمه بأنه سينال من الدنيا السلامة والأمان الدائمين.

(٧) يقول: إنه لا يحفل به وإنه لا يخلّي له رسنه.

سأجزيك مِنْ سَوْءات ما كنتَ سقتني
إليه جروحاً فيك ذاتُ كلام [١]
تُعَيُّرُها في النار والنارُ تلتقى
عليكَ بزقوم بها وضرام [٢]
وإنّ ابن إبليس وإبليسُ البنا
لهم بعذاب الناس كلّ غلام [٣]
هما تَفَلا في فيَّ مِنْ فَهَوَيْهِمَا
على النابح العاوي أشَدُّ رجام [٤]

والملاحظ أنه يبدأ بنفسه، يسجل خطرات وجدانية، إذ أنه إذا أراد، فإنه يلم بالديار العافية ويقف عند مربط صغار البهائم عند الخيام، وإنه ذرف دمعه الغزير في تلك المواضع، طلباً للمغفرة لأنه عاهد ربه على التقوى وإنه مقيم في مكة بين الرتاج والمقام وكأنه متنسك منقطع للعبادة فقط، بعد سبعين حجة قضاها في المشاكسة والخلافات بينه وبين الناس، وبدأ التوبة حينما أحس بالكبر والشيخوخة وحينما طالعته تباشير الموت، أو أحس بها. وهنا يقسم أن ينقطع للعبادة والتقوى، في حالتي المرض والعافية، بعدما قاد إبليس حياته فترة طويلة، وكان يحبب له متاع

(١) أي إنه سينكل بإبليس ويدميه لقاء ما ضلله به.
(٢) تعيرها: تزنها. الزقوم: شجرة الجحيم. الضرام: النار المشتعلة.
(٣) يعني أن إبليساً وجماعته كانوا يسقون غلمان الناس ليسوقوهم إلى النار.
(٤) الرجام: الرمي بالحجارة.

الدنيا، ويوهمه بأنه غير مائت وأنه سينال من هذه الدنيا الأمان والسلامة الدائمة. لكن الشاعر هنا كان قد أخذ الموقف، وقطع كل صلة بإبليس اللعين، وهو الآن لا يحفل به وإنه لا يخلّي له رسنه، ويتركه على غاربه يضل النفس البشرية. خاصة أن إبليس وجماعته كانوا يغررون بالناس ويسقون غلمانهم الضلال وعدم الهداية ليسوقوهم إلى النار. ويتهمه بأنه هو أي إبليس وابنه سكبا في فمه الهجاء فجعل ينبح الناس ويعاويهم ويرجمهم بهجائه المقذع.

ومن صور التدين، وتذكر الآخرة هذه القصيدة القصيرة. ويروى «أن الحسن البصري حضر جنازة النوار امرأة الفرزدق. فقال الفرزدق: يا أبا سعيد حضر هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، أنت خيرهم وأنا شرهم، قال: فما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله مذ ثمانين سنة، وأنشأ الفرزدق يقول(*):

لَقَدْ خَابَ مِنْ أولادِ دَارِمَ مَنْ مَشَى
إلى النار مَشْدُودَ الخِنَاقَةِ أزْرَقَا(١)
إذا جاءني يومَ القيامةِ قائِدٌ
عَنِيفٌ وَسَوّاقٌ يَسُوقُ الفرزدقا(٢)

(*) الديوان - ج ٢ - ص ١٣٨.

(١) خاب: فشل.

(٢) عنيف: قوي.

أخــافُ وراء الـقبــرِ إنْ لـم يُـعــافِنـي
أشَــدَّ مِنَ القَبْـــرِ التهــابــاً واضْيَقَــا[1]

إذا شــربــوا فيهــا الـصَّــدِيْــدَ رَأيتـهمْ
يَـذُوبُـونَ مِنْ حَـرِّ الصَّـديـدِ تَمَـزُّقَــا[2]

إنها لحظة خوف من المجهول، من القادم، وهو الموت. إذ يقول إن الدارميين الذين يعدون إلى جهنم وهم موثقـون، مشدود على خناقهم وهم زرق. إنّ هؤلاء لهم الخيبة. ويشير هنا إلى نفسه، لأنه يخشى نار الآخرة. ويصور نفسه وهو يساق ويُزْجى يوم القيامة. وهو خائف من تلك اللحظة من أن يلاقي وراء القبر ما هو أشد ضيقاً منه، وأكثر باعثاً لحر العذاب. ويصور أهل النار وهم يشربون الصديد الذي يذوب من أجسامهم والقيح والدم فيتمزقون ألماً. وهذه الصورة، من الصور الشعرية الجيدة لدى الفرزدق.

نقد شعر الفرزدق:

الفرزدق أحد شعراء الثالوت الأموي، ممن طارت شهرتهم في عصرهم وحلقت بهم عبر الزمن حتى عصرنا هذا. وهو ابن بيئة نما فيها الشعر، وابن أصول لها في الشعر صولات وجولات. هو من دارم حاملة لواء الشعراء. والنسب متأصل في أعماق شعره وجذوره. وربما كان النسب رافداً ومعيناً له، خاصة النسبة إلى

(١) أشد: أقوى.

(٢) الصديد: القيح.

صعصعة جده «محيي الموؤودات». وبهذه الكرمة يفخر الفرزدق، ونراه مفتوناً بها، ومفتوناً بمجده. أما الكرم فتلك صفة أبيه غالب. فغالب وصعصعة ودارم وتميم أصول ينمي إليها الفرزدق، وتاه فيها حماساً وتفوقاً. ويكاد الشاعر لا يفخر حتى يحضر عليه غالب وصعصعة، وأمجاد دارم ومن إليهم. والواقع أنّ من يقرأ ديوان الفرزدق يخرج منه بيقين، وهو أنه لم يكن يقر بالتفوق لأحد من الناس على قومه إلاّ النبي محمد ﷺ.

إلاّ أن الفرزدق وإن تمادى في حبه لأهله حتى العنجهية بالشعور المتكامل بين أنقاض الوجود وعاهات الحياة الكثيرة من فقر وإملاق، وتشرد ويتم، وترمل وافتقاد وتعسر الرزق. فإنه يميل في جانب آخر من شعره إلى تصوير الصورة السلبية ممن يراهم في موقع منخفض ومنحط في الحياة والوجود. وغالباً ما يكون هؤلاء أعداؤه، وأعداء قبيلته وذويه وعلى رأسهم الكلبيون، قوم جرير وبنو قيس الذين كان جرير يدافع عنهم. والصورة في هذا الموضع تهبط وتنقص وتتشوه لاتصالها الدائم الواقع الحسي. وتنبو عن الذوق، وتبعد عن الاستيعاب عندما يثور، ويقذف حممه الملتهبة في وجه أعدائه، لتصل إلى الغمائه المحقرة، والوقائع المذلة، مع إكثار ذكر الزواريب والخيم الواطئة، والأعنز، والضأن الحقير، وعلب الحليب والتزجي على متون البعران، والتقرح على متونها، واتضاع اللبن من ضروعها. أضف إلى ذلك ذكر النباتات الهزيلة الضئيلة التي يسميها بأسمائها، ويرسم مواقعها

الحسية. وتكثر عنده الألفاظ النابية والفاحشة حيناً. وهنا لا تتيسر له سبل الإبداع كما تيسرت له في خلق صور الملحمة العنترية، في مواقف العنجهية. فقد ظن أنه متحرر من قبضة الوجود، وتلك غلالة زاهية كان ينسجها. ولكن نسيجه هذا أتى واهياً ووقع في النهاية في حبائله. فقد كان يحس ـ في معظم شعره ـ أن نجاته تلك بذاته وبذويه، ولكنها لم تكن نجاة فعلية، بالرغم ممّا حاول دونها. إنّ التكامل والتحرر من عاهات الوجود، أوقعت الفرزدق ذاته في قبضتها، إذ لا مفر لمخلوق من رزية تحل به؛ فقدرزىء الفرزدق كالآخرين، مات أولاده، فرثاهم، لكنه لم يبلغ المعاني الإنسانية للموت، ولا أدرك حقائق هي مسلمات، ولم يعط الفاجعة بعدها النفسي. وعندما خانه الشعور في هذا، وبقيت العاطفة جامدة متصلدة، تدارك الموقف وأخذ بجانب الفخر مؤكداً أن قناعته لم يذمها الموت ولم يجعله ضارعاً ناكلاً.

بل إنه ما زال يقف للأعداء، وهو مزمع أن يصول ويجول في الميدان كما كان. وكان يسجن بسبب هجائه وفحشه فيه، فيمثل القيود، والندوب، والتقرحات، وحظه البائس، وخوفه، ورعبه في السجن، وهلعه من الموت. وكان لسلاطة لسانه يثير حفيظة الولاة، ويهدد ويرعد، ويلاحق في النهاية فيهرب، ويبقى زمناً هائماً طريداً، وهذا ما حصل له مع زياد ابن أبيه. وشعره في الهرب من وجه زياد كثير، ويقع في عشر قصائد، قد تكون أجمل شعر عنده لأنها ألصق بنفسه، وتعبر عن حقيقة شعوره ووجدانه،

ولأنه نزع فيها منزعاً إنسانياً يجعله قريباً منّا. فيما كانت مفاخره تبعده عنا، وتدعنا نحسب أنه يتكلم عن عالم شبه غريب، وبعيد عنا، عالم تتلاشى حدوده الزمنية والمكانية.

والفرزدق الذي تشبع بتعاليم الإسلام، وله فيه كثير من لحظات النجوى والخوف والأمل، فإنه لم يسلك طريقه الصحيح، ونراه في كثير من مواقفه يحن إلى عوالم الجاهلية، يحيي ما فيها من تارات وآيات، ويتغنى بأمجادها ويفعل أفعالها. فقصائده في رثاء أبيه، والتي يزعم فيها أن والده الميت هو الوحيد الذي ينهض من قبره، يطعم الأحياء قبل موتهم. وكان الفرزدق ينحر النياق على القبور على عادة الجاهليين، وفعل هذا على قبر صديقه بشر بن مروان مذكي أوار الشعر في عصره. ذاك أن الفرزدق كان أعزّ في الجاهلية بقومه الأدنين وقبيلته، وحين قامت الدولة الأموية أحس بالإحباط وأنه يكاد يكون تابعاً. وهو يأنف أن يكون كذلك.

التصوير عند الفرزدق:

ظهر لنا في تحليل شعر الفرزدق، أهم الموضوعات التي أثارت عواطف الشاعر، وعرضنا الأفكار التي تضمنتها قصائده في الموضوعات المختلفة التي طرق بابها. واتضح لنا من خلال القصائد والشروحات، والتحليل، أن الشاعر كان مجيداً في موضوعات الفخر والهجاء والمديح. وهذا معناه أن عاطفة الشاعر كانت متعلقة بهذه الموضوعات أكثر من غيرها. حتى

انعكست نفسيته بقوة في هجائه الفج، الصلب، وتوصل به حتى الفحش والإقذاع. وكان فنه قوياً في هذا النوع من القول، مما يدل أن انفعاله بهذه المؤثرات كان صادقاً، نابعاً من حقيقة نفسه وحسه، فظهرت صوره مؤثرة ومثيرة، وكل ذلك ناتج عن بداوية تسربت إلى نفسه، وبقيت حتى ظهرت بهذا الشكل الذي أوردناه.

وإلى جانب القوة في الموضوعات السابقة، فإن الضعف واضح في الغزل والرثاء. وذلك معناه أنّ طبيعة الفرزدق كانت تميل إلى الموضوعات الأولى. ففيها استعداد قوي للتأثر بها، وإنها ترغب عن الموضوعات الثانية ولا تنفعل بها.

والمتتبع لشعر الفرزدق يجد أنه كان في تصويره يهتم بإبراز تاريخه وتاريخ أجداده، ويحط قدر المهجو. وإذا افتخر نجد ذلك التاريخ يلازمه، ويدفعه حتى يصل إلى الغلو. ويبرز هذا في النقائض الكثيرة بينه وبين جرير. وفي كل صوره في هذا المجال نجد العاطفة، والإحساس، ودوافع التاريخ والأجداد تسري بين طيات القصيدة حتى تغدو سجلاً للتاريخ لكثرة الأسماء والأماكن، وتعداد المفاخر المتأصلة في العرب من كرم، وضيافة وعلو كعب، وسمو رفعة. وكلها في آبائه وأجداده.

وإذا نظرنا في صوره الشعرية ومصادرها، نراها مأخوذة من التاريخ والأيام، ومن أحوال الإنسان والحيوان أيضاً. ومن مظاهر

البيئة المختلفة لذلك جاء شعره تعبيراً عن نفسه، وتصويراً لأحوال عصره. وكثيراً ما نجد أن الشاعر استعمل المصدر الواحد في كثير من قصائده؛ لأنّ نفسه معبأة بهذا التاريخ وذاك التراث. ويصل به حتى الجاهلية. أو تتفشى في شعره بعض مظاهرها. وكل هذه الصور كانت حسية واقعية.

أما الجانب النفسي في شعره، كان الخصب فيه في الهجاء والفخر. وبلغ به التعالي في تصوير نفسه إلى أن يصبح أكبر من الخلفاء والولاة، ومن الأمراء والعمال. ومديحه للإمام زين العابدين علي بن الحسين، نموذج صادق عمّا تحمله نفسه، من شعور صادق، وعاطفة جياشة.

وبالرغم من جانب التوفيق الذي حالفه في الهجاء والفخر والمديح، فإن العاطفة خانته في مواقف الغزل والنسيب والرثاء. ولاحظنا هذا حتى في مغامراته مع الحبيبة، إذ جاءت صوره حسية لا حركة فيها ولا حياة، وكانت قصيدته أشبه إلى النثرية منها إلى الشعر الراقي. وغزله في حبيبته كان جافاً، مخالفاً لطبيعة المحبين الولهين. أما رثاؤه فكان أبعد ما يمكن عن الفاجعة. إذ أن الحوادث المؤلمة لم تثر عاطفته، مثل وفاة زوجته، ووفاة أولاده. وقد أتينا على نماذج منها في تحليلنا لشعر الفرزدق.

٢ ـ التعبير:

نعني بالتعبير هنا، الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليترجم مشاعره

وانفعالاته وعـواطفه في شتى النواحي التي تضمنها فنه. وهذه الترجمة يجب أن تكون معبرة عن شعوره، ونفسه، وتتكامل حتى الوضوح والروعة.

والمعروف أن وسائل التعبير مختلفة، لكن وسيلة الأدب هي الألفـاظ، والعبـارات ومـا تتضمنـه من المعـاني والمـوسيقى، والمعاناة، والصدق. ويتوقف نجـاح العملية الأدبيـة على مدى مـوهبـة الأديب، ومقـدرتـه على السيـطرة على وسيلة التعبيـر والتصرف بها بدقة وإتـقــان للوصول إلى الغاية. والأدب مثل كل الفنون، له أوضاع، ولكل وضع فيه تعبير معين، ولكل تعبير لون خاص. وبعد التحليل، الذي استعرضناه يمكننا القـول إن الفرزدق يمتلك زمام وسيلة التعبير الأدبي، حينما يكون المجال ملائماً لميوله، وطبيعته، ونجده يتعثر في مجالات أخرى. وهذين الاتجـاهين يساعـداننا على كشف نـواحي شخصيـة الفـرزدق ونفسيتـه. ومهما يكن فـإن التعبير الفني عنـد الفـرزدق يبين أن الشاعر كان يملك ثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات، وفاق على أقرانه، وشعراء زمانه في هذا المضمار.

وإن كان الفرزدق زاهياً بأمجاد قـومـه ومآثرهم، إلا أنه كان يحني رأسه للحاجة والضرورة. وتراه في شعره، ترك الكثير من الكبر والتيه، ومدح أبناء عبد الملك بن مروان. واستجدى وتوسل حتى يصل إلى مبتغاه. إنـه صورة الشيء ونقيضـه، يجمـع في

طياته السلب والإيجاب، يعتو حتى يطيح الأرض تحت قدميه، ويتضاءل أمام أبواب الأمراء والخلفاء هباء منثوراً.

وبقيّ الفرزدق فترة بعيداً عن قصر الخلافة، حتى أنه كان يظن أن الخلافة اغتصبت حقه وحق أجداده، وبقي هذا الشعور يلاحقه في حالتي الوعي واللاوعي وربما كاد يحسب في بعض الأحيان أنه أفضل من الخلفاء والولاة والأمراء، لشعور النسب القوي الذي يسري في دمه. وقد صرح في ذلك تصريحاً جهيراً، حين استعاد معاوية ما كان أعطاه للحُتات، أحد أعمام الفرزدق بعد أن مات قبل أن يخرج من الشام يقول في ذلك:

أبوك وعمي يا معاوي أورثا
تراثاً، فأولى بالتراث أقاربُه

فما بال ميراث الحتات أكلته
وميراثُ حرب جاحدٌ لك ذائبُهْ

فلو كان هذا الحكم في جاهليةٍ
عرفت من المولى القليل حلائبُهْ

ولو كان هذا الأمر في غير مُلْكِكُمْ
لأدَّيْتَهُ أو غصَّ بالماء شاربُهْ

وما ولدت بعد النبيِّ وأهلِهِ
كمثلي حَصَانٌ في الرحال يقاربُهْ

أبي غالبٌ والمرء صعصعة الذي
إلى دارم ينمي، من ذا يُنَاسبُهْ

وكم من أب لي يا معاوي لم يزلْ
أغرَّ يباري الريح ما ازْوَرَّ جانبُهْ
نَمَتْهُ فروعُ المالكين ولم يكنْ
أبوك الذي في عبد شمس يخاطبُهْ

الديوان ص٥٣.

هذه الصورة الملحمية التي تعرضت لمعاوية، تغيرت صورتها حينما وصل الأمويون إلى الخلافة، وجلسوا تحت أبهة الجاه والتاج، ونظموا الدولة التي سيطرت على كل ما سلف من أمجاد. فما كان من الفرزدق أمام هذا الوضع الجديد، إلاّ إحناء الرأس، والوفود إلى الخلفاء لمدحهم.

ومن المؤكد أن الفرزدق كان فاسقاً ولكنه في الآن ذاته إيجابي يؤمن بالقيم العليا كالفروسية ونبالة المحتد. وربما كان فسقه خروجاً عن الدين الذي آمن به دون أن تستكن نفسه له، لأنه أزال مجد تميم وأقام من دونها أمجاداً عفتْ على مجدها.

وللفرزدق قصائد سياسية تهب رياحها ولاء وجفاء. لقد امتدح الحجاج بن يوسف الثقفي وارتد عليه إثر موته. وهرب من زياد، وامتدح أبناءه وهجا قتيبة بن مسلم الباهلي حين ثار بخراسان على سليمان بن عبد الملك، وامتدح يزيد بن المهلب بعد أن كان هجا والده، ولما ثار يزيد على يزيد بن عبد الملك، فإنه هجاه وتغنى بهلال بن أحوز المازني التميمي، وأول من وفد إليهم من الخلفاء

كان سليمان بن عبد الملك. وكان الفرزدق يمدح عمال بني أمية ويهجوهم وفق ما تميل به الأهواء.

وحقيقة أدبية تقال بين الثالوث الأموي، أن الأخطل تقدم الفرزدق في المدح وتقدمه جرير في الهجاء والغزل والرثاء. وتقدمهما الفرزدق في الفخر. وفضيلة الفرزدق في الشعر، هي التي تتمثل في الخصب البدائي، والفحولة في التعبير، والجهبذة اللفظية.

لقد كان الفرزدق بطبيعته ميالاً إلى الشعر، فأحبه وعاش في بيئته الطبيعية التي لقحته بالجميل من هذا الفن، ولما اكتمل نموه، وشبعت أحاسيسه من ذلك النبع فاضت أحاسيسه بالشعر، ومثّل عصره بكل نواحيه أفضل تمثيل، وكان له الغريب من الكلام حتى اعتبر «نبغة الشعر». واعتبره ابن داب: «أشعر عامة».

وقد استغل العلماء والنقاد شعر الفرزدق، فتتبعوه بالدراسة والتحليل ليستنبطوا منه ما يهم في مختلف الدراسات والعلوم اللغوية، وأول ما يستوقفنا في شعره: الناحية البلاغية ومنها المحسنات:

١ ـ التشبيه: لم يرتق فيه إلي أترابه، وأسلافه الجاهليين، أمثال امرىء القيس مثلاً، أو معاصريه كالأخطل وجرير، فكان تشبيهه حسياً، جاء من واقع الحياة التي تربى عليها. ومنه قوله في مدح الحجاج:

كأنّ قُطاميّاً على الرَحْلِ طاوياً
إذا غَمْرَةُ الظَّلمْاءِ عنه تجلتِ

فشبه نفسه بالصقر على مطيته حين تتبلج عنه الظلمة. وهذا تشبيه جميل لما يدل على معاني القوة والصلابة.

ومن قوله أيضاً:

وظلماء تحت الأرض قَدْ خضتُ حولها
وليل كلونِ الطيلساني أدعجا.

إنه شبه الليل هنا بالطيلسان. ووجه الشبه هنا شدة الظلمة. والصورة الغالبة على تشبيهه هو تشبيه شيء بشيء. ولم يرتق إلى تشبيه ثلاثة بثلاثة أو أربعة بأربعة كما جاء في شعر امرىء القيس. وقوله:

أَبار بكم عن دِيْنهِ كلَّ ناكثٍ
كما الأممُ الأولى أبيرتْ ثَمودُها.

يقول إن الله أهلك بهم المشركين كما هلكت ثمود من قبل ووجه التشبيه بين المعنيين هو الهلاك والموت.

ومنه قوله:

برى نُؤيَها دارجاتُ الرياحِ
كما يُبتَرى الجفنُ بالمبردِ.

ومعناه أن الرياح ألمت وأزالت حفير الخيام وبرته، كما يبرى

غمد السيف بالمبرد. ومن تشبيهه الذي جاء في هجاء جرير قوله:

وكان جرير على قَوْمِهِ
كَبَكْرِ ثَمُودٍ لها الأنْكَدِ

شبه هجاءه برغاء الناقة. والمعنى أنه حين هجاه - أي جرير - فكأنه رغا كما رغت تلك الناقة فأماتهم وصاروا رماداً منثوراً.

ومن التشبيه الحسي قوله:

تساقُطُ ريشِ غاديةٍ وغادٍ
حَمَاميْ قَفْرَةٍ وَقَعَا فطارا

يقول إن أخفافها تبدو من دونها، وكأنها ريش حمامة وذكرها وقعا وطارا، والتشبيه حسي دقيق. فالأخفاف المغيرة تشبه الحمام، ولكنها لا تثبت في مكانها وكأنها تقع وتطير.

ومن تشبيهه أيضاً:

كأنّ الليل يحسبه علينا
ضرارٌ أو يكرُّ إلى نُذُورِ
كأن نجومه شول تثنى
لأدهم في مباركها عقيرِ.

شبه النجوم هنا بالإبل الباركة.

الاستعارة:

عسى أسدُ أنْ يُطْلِقَ الله لي به
شَبَا حَلَقٍ مُسْتَحْكِمٍ فوق أسْوُقي

استعار كلمة أسد وجعلها مكان المخلص.

شفيتَ من الداء العراق فلم تدع
به ريبةً بَعْدَ اصطفافِ الزلازل

استعار كلمة الداء بدل الفوضى.

ومن الاستعارة الحسنة هذه الأبيات:

- وقائلةٍ لي: ما فعلتَ إذا التقتْ
وراءك أبواب المنايا القواتل؟

- سلوت عن الدهر الذي كان معجباً
ومثل الذي قد كان من دهرنا يسلي

- هزبرٌ إذا أشباله سِرن حوله
تشظتْ سباع الأرض من ذي النحائم

- فإنا أناسٌ نشتري بدمائنا
ديار المنايا رغبةً في المكارم

- ملوك إذا طَمّتْ عليك بحورها
تطحطحتْ في آذيها المتصادم

- فإن تلتمسني في غيم تلاقني
برابية غلباء تعلو الروابيا

هذه أبيات تحتوي على استعارة محببة، وقد ورد منها الكثير الكثير في ديوان الفرزدق، وهذه المحسنات ألبست الكلام وشاحاً جميلاً فأتى القول مصبوغاً بلون جديد من الجمال والألوان المحببة.

الطباق: ومن أمثلة الطباق ما ورد في قوله:

١) وإنْ أَلْقَهَا أو يجمع الله بَيْنَنَا
فَفِيْهَا شِفَاءُ النَّفْسِ مِنِّيَ وداؤها

فشفاء وداؤها كلمتا الطباق.

٢) وأنتَ سَمَاء الله فيها التي لَهُمْ
مِنَ الأرضِ يُحيي ميّتَ الأرضِ ماؤها

الطباق هنا بين الفعل والاسم: يحيي - ميت.

٤) فإنهُمْ الأحلافُ، والغَيْثُ، مَرّةً
يكونُ بشرق من بلاد ومن غَرْبِ

الطباق في هذا البيت بين اسمين: شرق وغرب.

٤) أمّا العِرَاقُ فَقَدْ أعطَتكَ طاعَتَها
وعادَ يَعْمُرُ مِنْهَا كُلَّ تَخْرِيْبِ

الطباق بين الاسم والفعل: يعمر - تخريب.

٥) فانْقضَّ مِثْل عتيقِ الطَّيْرِ تُتْبِعُهُ
مَساعِرُ الحَرْبِ مِنْ مُرْدٍ ومن شيبِ

الطباق هنا بين اسمين: مرد - شيب.

٦) ولَيْسَ شَبابٌ بعد شَيْبٍ براجعٍ
بذا الدهرِ حتى يرجع الدَّرُّ حالِبُهْ

الطباق بين اسمين : شباب وشيب .

٧) فـلا مـا نــأى منـه من الشــرِّ نـازِحٌ
ولا مــا دَنَــا مــن الـخـيــر جــالِبُــهْ

الطباق بين : نأى ودنا ـ الشر والخير .

هذه نماذج بسيطة من الطباق الذي ورد في شعـر الفرزدق . وكان جيداً بحيث أنه أبرز المعنى ووضحه .

هذه بعض النماذج من المحسنات البلاغية التي وردت في ديوان الفرزدق . وهناك جناس ولكنه قليل جداً ونادر . ومعنى هذا أن الشاعر لم يكن صناعاً . بل جاءت هذه الألوان عفو الخاطر ، ونتيجة لطبيعة النفس والطبع الذي كان يجيش في نفس الفرزدق . فكانت هذه المحسنات وغيرها من الألوان الجملة التي تلون به شعـره . حتى غدت صـورة الذات واضحـة سلسة ، بعيـدة عن التكلف والصنعة .

ملحق

نماذج من شعر الفرزدق

يمدح الحجاج بن يوسف بقوله(*):

رأيتُ نوار قَدْ جَعَلَتْ تَجنّى
وتُكْثِرُ لي الملامةَ والعِتابَا[1]
وأحْدَثُ عَهْدِ وُدِّكِ بالغواني
إذا ما رَأسُ طَالِبِهِنَّ شَابا[2]
فلا أستطيعُ رَدَّ الشيبِ عنّي
ولا أرْجو من الكِبَرِ الشّبَابَا[3]
فليتَ الشيب يَوْمَ غدا عَلَينا
إلى يَوْمِ القيامةِ كانَ غَابَا[4]

(*) الديوان ـ ج ١ ـ ص ١٣٧ وما بعدها.

(١) نوار: اسم زوجته. تجنى: تتجنى، أي تكثر من اللوم ظلماً.

(٢) يقول: إنّ الغواني قطعنه حين شاب، وكان عهده بهنّ حديثاً.

(٣) يقول: إنه يطلب الشباب ولا يلقاه، وإن الشيب يقتحم عليه ولا قبل له بدفعه.

(٤) يتمنى لو نزح عنه الشيب أبد الدهر.

فـكـانَ أحـبَّ مـنْـتـظرٍ إلَـيْـنَـا
وأبْـغَضَ غـائِبٍ يُـرْجَـى إيَـابَـا[1]

فـلمْ أرَ كـالـشَّـبَـابِ مَتَـاعَ دُنْـيَـا
ولـم أرَ مِـثْـلَ كِـسْـوَتِـهِ ثـيَـابَـا[2]

ولـو أنّ الـشَّـبَـابَ يُـذَابُ يَـوْمـاً
بـهِ حَـجَـرٌ من الجبلين، ذَابَـا[3]

أمير الـمـؤمـنـين، وَقَـدْ بَـلَوْنَـا
أُمُـورَكَ كُـلَّهَـا رُشْـداً صَـوَابَـا[4]

تَـعَـلَّمْ إنّـمـا الـحـجـاجُ سَـيْـفٌ
تَجُـذّ بـه الجَمـاجِمَ والـرِّقـابـا[5]

هـو السيفُ الـذي نَصَـرَ ابـن أَرْوَى
بـه مَـرْوَانَ عثمـانَ الـمـصَـابَـا[6]

---

(1) يقول إنه لو أنه ينتظر ولا يغد بكان أحب منتظر، ويكون في الآن ذاته أكره غائب يخشى قدومه.

(2) يعني أن الشباب هو أفضل العهود، وأن ثوبه هو الثوب الحسن.

(3) يقول إنه من حميته وقدرته كان حرياً أن يذيب الحجارة.

(4) يقول: انهم خبروا منه الأمور التي تجري على العدل والصواب.

(5) يخاطب الخليفة، ويمتدح واليه الحجاج، ويقول إنه سيف تُقْطع به رقابُ الملحدين والشذاذ والمشاغبين.

(6) ابن أورى: هو عثمان وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة.

إذا ذَكَرتْ عُيُونُهُمُ ابنَ أَرْوى
وَيومَ الدّارِ أَسْهَلتِ انسِكابا[1]

عَشِيّةَ يَدْخُلونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ
على مُتَوَكّلٍ وَفيّ، وطابا[2]

خليلِ محمدٍ، وإمامِ حقٍّ
ورابعِ خيرِ مَنْ وطِيءَ الترابا[3]

فَلَيْسَ بذابلٍ للحربِ مِنْهُمْ
شِهَابٌ، يُطفِئُونَ بهِ شِهابا[4]

بِهِ تُبنَى مَكارِمُهُمْ وتُمرى
إذا ما كانَ دِرَّتُها اعْتِصابا[5]

وَخاضِبِ لحيةٍ غَدَرتْ وَخانَتْ
جَعَلْتَ لِشَيْبِها دَمَهُ خِضابا[6]

---

(١) يوم الدار: يوم قتل عثمان، وهو يقرأ المصحف الكريم.

يقول إنهم حين يذكرون ما حلّ بعثمان فإنّ دموعهم تنهمر غاية الانهمار.

(٢) يقول إنه كان يفتح أبوابه لكل الناس وبلا استئذان، غير مستأثر بالسلطة ولا متعسف بها كما زعم قاتلوه.

(٣) يقول: إنه رفيق محمد ورابع الخلفاء الراشدين، بل إنه ثالثهم، وحين قال الرابع إنما أشار إلى النبي محمد ﷺ.

(٤) يقول إنهم يوقدون نار الحرب ويخمدون به الثورات.

(٥) تمرى: يمسح ضرعها لتدر، اعتصاباً: أي يعصب ساقاها لتدر.

(٦) يقول إنه يفتك بمن يخرج عن الدين ولو كان شيخاً هرماً، وإنهم يصبغون شيبه بالدم.

وَمـلْـحـمــةٍ شَـهِـدْتَ لِـيَـوْمِ بــأس
تَــزِيْـدُ الـمــرْء لــلأجَـلِ اقْتِــرابَـا[1]

تَــرَى الــقَـلْـعِــيَّ والـمَــاذِيَّ فِــيْــهــا
عــلى الأبــطالِ يَلْتَـهِـبُ الـتِـهَـابَــا[2]

شَــدَخْــتَ رُؤوسَ فتيـتـهــا فَــذَاخَــتْ
وأبـصــرَ مَـنْ تَــرَبَّـصَـهــا فَــتَــابَــا[3]

رأيـتُــكَ حِـيْـنَ تَـعْـتَـرِكُ الـمـنــايــا
إذا الـمــرعُــوبُ للغـمــراتِ هــابــا[4]

وَأَذْلَــقَــهُ الــنِّــفَــاقُ وكَــادَ مِــنْــهُ
وَجِيبُ الـقَلْبِ يَنْتَــزِعُ الـحِجَــابَــا[5]

تــهــون عليــكَ نَــفْــسُــكَ وهـــو أدنــى
لنفسِــكَ عِنْـدَ خَــالِقِهَــا ثَــوَابَــا[6]

فَمَنْ يُـمْنِنْ عليــكَ الـنصــرَ يَـكْــذِبْ
ســوى الله الــذي رَفَــعَ السَّحَــابَــا[7]

---

(١) يقول إنه يقاتل ويدني الموت لمن قاتله.

(٢) يقول إن الدماء والدموع تلتمع على الأبطال وتتلظى.

(٣) أي انه يفتك بالثائرين ويذعر من يترقبون نتيجة القتال.

(٤) الغمرات: ساحات القتال.

(٥) الحجاب: غلاف القلب.
يقول إن من يُضعفه النفاق، وكاد يمزق حجاب قلبه من وجيبه.

(٦) يقول إنه يقتحم عليه القتال في سبيل الله.

(٧) أي أن نصره يأتيه من الله لأنه يستوحي إرادته منه، وليس من الناس، ولا منّة لهم عليه.

تَـفَـرد بـالـبـلاءِ عَـلَـيْـكَ رَبٌّ
إذا نَـادَاهُ مُـخْـتَـشِـعٌ أجَـابَـا[1]
ولـو أنَّ الـذي كَـشَـفْـتَ عَـنْـهُـمْ
مـن الـفِـتَـنِ الـبَـلِيَّـة والـعَـذَابَـا[2]
جَـزَوْكَ بـهـا نُـفُـوسَـهُـمُ وزادوا
لـك الأمـوال مـا بـلغـوا الثـوابـا[3]
فـإنـي والـذي نَـحَـرَتْ قـريشٌ
لـه بِمنًى، و أضْمَـرتِ الـرِّكـابـا[4]
إلـيـه مُـلَبِّـديـنَ وَهُـنَّ خُـوصٌ
لِيَسْتلمُـوا الأواسـي والـحِـجَـابَـا[5]
لَـقَـدْ أصْبَحتُ مِـنْـكَ عليَّ فَضْـلٌ
كَفَضْـلِ الغيثِ ينفـعُ من أصَـابَـا[6]
عـليَّ رَأَيْتُ يـا ابـنَ أبي عَـقيـلٍ
ورائـي مِـنْـكَ أظـفـاراً ونَـابَـا[7]

---

(١) يقول إن الله يؤتيك البلايا ليختبرك فتبوء بها وتقف لها.

(٢) ـ (٣) يقول: إنه رفع عنهم الفتن وأخمدها، ولو أنهم وهبوه نفوسهم من دونها لما أثابوه حقه.

(٤) مِنى: جبل بمكة.

(٥) ملبدين: من عادة الحجاج أن يلبدوا شعورهم بالصمغ. الخوص: الغائر والأحداق. الأواسي: جمع الأسية، البناء المحكم. الحجاب: أي أستار الكعبة.

(٦) يقول إنه أفضل عليه كالغيث الذي يذهب بالقحط.

(٧) يقول: إنه لو كان بأقصى الأمكنة، ولو إنه تحجب بكل حجاب وأوصد كلّ باب =

فَعَفْـوُكَ يـا ابـنَ يـوسفَ خيـرُ عفـوٍ
وأنـتَ أشَـدُّ منـتـقـمٍ عِـقـابَـا[1]
رأيـتُ النـاسَ قَـدْ خـافـوكَ حتى
خشـوا بيـديْـك أو فـرقـوا الحسـابـا[2]
يمدح نصر بن سيار[*]:
كَيْفَ نخـافُ الفقْرَ يـا طيبَ بَعْـدَمَـا
أتـتْنَـا بِـنَصْـرٍ مِنْ هَـرَاة مَـقَـادِرُه[3]
وإنْ يـأتنـا نصْـرُ من التُّـرْكِ سـالمـاً
فمـا بَعْـدَ نَصْـرٍ غـائِبٌ أنـا نَـاظِـرُهْ[4]
تَنَـظَّرْتُ نصـراً والـسمـاكـين أيْـهُمَـا
عليّ مِنَ الغيـثِ استهَلتْ مَـواطِـرُهْ[5]
مَضَى كمضِيِّ السّيْفِ في كفِّ حـازمٍ
على الأمـرِ إذْ ضاقتْ علينـا مصـادرُهْ[6]

= لأدركه وناله بأظفاره وأنيابه، أي انه ينال كل من يريد ولا ينجو من طلبه أحد.

(١) يقول: إنه يعفو وينتقم، وعفوه خير عفو، وانتقامه هو أشد انتقام.

(٢) أي انهم يخافون أن يموتوا ويُدركوا يوم الحساب عجالاً.

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٦٢ وما بعدها.

(٣) طيب: مرخم طيبة. هراة: مدينة بخراسان.

(٤) يقول: إنه إذا ما نجا من قتال الترك، فإنه لن يرجو أحداً دونه إثر ذاك.

(٥) يقول: إنه ترقبه وهو لا يعلم أيهما أغزر مطراً: الممدوح أم نجما السماكين وهما من نجوم المطر الغزير.

(٦) يقول إنهم ضاقت عليهم سبل الأمور فمضى إليها بحزمه، وعزمه كالسيف العادي.

إذا مـا أبـى نـصـرٌ أبتْ خِنْدِفٌ لَـهُ
وَقَـدْ عزّ مِنْ نَصـر إذا خافَ، نـاصِرُهْ[1]
إذا مـا ابنُ سيّـارٍ دَعَـا خِنْدِفَ الـتي
لهـا مِنَ أعَـزّ المشـرفينِ قَسَـاوِرُهْ[2]
أَتَتْـهُ على الجردِ الهَـذاليـلِ فـوقهـا
دُرُوعُ سُلَيْمَـان لـهـا، ومَغَـافِـرُهْ[3]
أرى الـنـاسَ مِنّـا رَبـهُمْ حـينَ تـلتقـي
إلى زَمْـزَمٍ رُكْبَانُ نَجـدٍ وغَـائـرُهْ[4]
لنـا كُـلُّ بِطْريْقٍ إذا قـامَ لـم يَقُـمْ
مِنَ النّـاسِ، إلاّ قـائـمٌ هـو آمِـرُهْ[5]
هُـوَ المـالـكُ المَهْـدِيّ السـابقُ الـذي
لـه أوّلُ الـمجـدِ الـتليـد وآخِـرُه[6]
تـنـظرتُ نصراً أنْ يجـيءَ، وإنْ يجـيءْ
فـإني كَمَنْ قَـدْ مَـرَّ بـالسّعْدِ طَائِـرُهْ[7]

(١) يقول إنه الخندفيين يقفون إلى جنبه، ومن ينصره الممدوح فهو المنتصر والمنصور.

(٢) القسـور: الشجاع وأصلها في الأسد.

(٣) الهذلول: الفرس الطويل. سليمان: رجل شهر بصنع الدروع. المغفر: زرد يلبسه المقاتل تحت القلنسوة.

(٤) يقول إن النبي منهم، بل إنهم أصحاب الدين الذي يحج الناس في سبيله.

(٥) البطريق: الرجل الجليل المقدم.

(٦) يقول إنه مملك بالهدى، وإنه متقدم بكل مجد قديم وجديد.

(٧) يقول: إنه يرقب عودته وهو حين يراه وقد عاد كمن أقبل عليه الخير، وطارت له الطير باليمن حين تزجر.

رَجَوْتُ نَدى نَصْرٍ، ودونَ يمينه
فراتانِ، والطافي بِبَلْخٍ قراقِرُهْ[1]

فأصبحتُ أعطي الناسَ للخيرِ والقِرَى
عليه لأضيافٍ، وَجَارٍ يُجاوِرُهْ[2]

ألَمْ تَرَ مَنْ يختارُ نصراً جَرَتْ لَهُ
بسَعْدِ السُّعودِ الخيرِ بالخيرِ طائرُهْ[3]

له راحتا كفين في راحتيهما
مِنَ البحرِ فيضٌ لا يُنَهْنَهُ زاخِرُهْ[4]

ألم تَرَ نصراً يَضْمَنُ الطَّعْنَ والقِرَى
إذا الريحُ هبَّتْ أو زَوَى السَّرْحَ ذاعِرُهْ[5]

ولَوْ أنَّ مجداً في السماءِ وعندها
تَناوَلَهُ نَصْرٌ إليهِ يسَاوِرُهْ[6]

---

(١) الطافي ببلخ: نهرها، وهي في خراسان. القراقر: السفن النهرية.

(٢) يقول إنه وهبه الممدوح بكثرة حتى بات الناس ينتجعونه بدوره وبات يهب الضيوف ويجيرهم.

(٣) يكرر معنى السعد والطائر الميمون.

(٤) يكرر وصف كرمه على البحر الزاخر الفياض.

(٥) القري: الضيافة. زوى: نحى. السرح: الماشية. ذاعره: مفزعه.

(٦) يقول إنه يطلب المجد حتى في السماء النائية.

هذه إحدى نقائضه[*]:

عفى المنازلَ، آخِرَ الأيامِ
قَطْرٌ، ومُورٌ واختلافُ نَعامِ[1]

قال ابنُ صانِعَةِ الزُّرُوبِ لِقَوْمِهِ
لا أستطيعُ رَوَاسي الأعلامِ[2]

ثَقُلَتْ عليَّ عمايتان، ولم أجدْ
سَبَباً يُحَوِّلُ لي جِبَالَ شَمَامِ[3]

قالتْ تُجاوِبُهُ المراغَةُ أُمُّهُ
قَدْ رُمْتَ، وَيلِ أبيكَ، كلَّ مرامِ[4]

فاسكتْ فإنكَ قَدْ غُلِبْتَ فَلَمْ تجدْ
للقاصِعَاءِ مآثِرَ الأيامِ[5]

ووجدتَ قومكَ فَقَّأُوا من لؤمِهِمْ
عينيكَ، عند مكارمِ الأقوامِ[6]

(*) الديوان ـ ج ٢ ص ٥٥٤ وما بعدها.

(١) المور: التراب تثيره الريح.

(٢) الزّروب: زرائب البهائم. الأعلام: رؤوس الجبال.

(٣) يقول على لسان خصمه جرير إنه لم يقْوَ على اجتياز جبليّ عماية ولا جبل شمام.

(٤) المراغة: المتمرغة بالتراب. رمت: تماديت وشطيت.

(٥) القاصعاء: من جحور اليربوع.

(٦) يقول إنّ ذلّ قومه فقأ عينيه.

صَغُرَتْ دِلاؤهُمُ فما ملأوا بها
خَوْضاً، ولا شهدوا عراكَ زِحَامِ [1]

أرْدَاكَ حَيْنُكَ إذْ تعارضُ دارماً
بأدِقَّةٍ مُتَأشّبينَ لِئَامِ [2]

وحسبتَ بَحْرَ بني كُليبٍ مُصْدِراً
فغرقتَ حينَ وَقَعْتَ في القمقامِ [3]

في حَوْمةٍ غمرتْ أباكَ بُحُورُهَا
في الجاهلية كان، والاسلامِ [4]

إنّ الأقارِعَ والحُتَاتِ وغالباً
وأبا هنيدةَ دافعوا لمقامي [5]

بمناكبٍ سبقتْ أباكَ صُدُورُهَا
ومآثرٍ لمتوجين كِرَامِ [6]

إني وَجَدْتُ أبي بنى لي بَيْتَهُ
في دَوْحَةِ الرؤساءِ والحُكّامِ [7]

---

(١) صغر الدلاء: هنا كناية عن الذل.

(٢) يقول: إنك تنافس قومي بقومك الرقاق الهزالى المتأشبين أي المختلطين دون أصل.

(٣) القمقام: البحر. مصدراً: يشرب منه ويرتوي منه.

(٤) يقول: إنه نزل في حومة قديمة فغرق أبوك في غمرة البحر.

(٥) يفخر بمن إليه.

(٦) يفخر بقومه الملوك الأقوياء.

(٧) يقول إنه نما في المعالي.

مِـنْ كـلِّ أبـيضَ فـي ذؤابـةِ دَارِمٍ
مَـلِكٍ إلى نَـضَـدِ الـمُـلُوكِ هُـمَـامِ [1]

فـاسـأَلْ بـنـا وبكـمْ إذا لاقَيْـتُـمُ
جشَمَ الأراقِـمِ ، أو بـنـي هَـمَّـامِ [2]

مـنّـا الـذي جَمَـعَ الملوكَ وبَيْنَهُـمْ
حَـرْبٌ يشبُّ سعـيـرُهـا بـضـرامِ [3]

وأبي ابنُ صَعْصَعَـةَ بنِ لَـيْلَى غـالِبٌ
غَـلَبَ الـمـلوكَ وَرَهْـطُهُ أعـمـامي [4]

خـالي الـذي تـركَ النجيعَ بِـرُمْحِـهِ
يَـوْمَ النَّقَـا شَـرِقـاً عـلى بِسْـطَامِ [5]

والخيـلُ تنحطُ بـالكُمَـاةِ تـرى لـهـا
رَهَـجـاً بـكُـلِّ مُـجَـرَّبٍ مِـقْـدامِ [6]

والـحَـوْفـزانُ تَـدَارَكَـتْـهُ غـارةٌ
مِـنَّـا، بـأسْـفَـلِ أُودَ ذي الآرامِ [7]

---

(١) الذؤابة : مقدمة شعر الرأس. نضد : سرير الملك.

(٢) يحتكم في منافسته للآخرين.

(٣) يقول إنهم كانوا يؤلفون بين الملوك.

(٤) صعصعة : جده.

(٥) يفخر بخاله الذي قتل بسطاماً.

(٦) يقول إن الحرب كانت مستعرة وفيها الأبطال.

(٧) الأرام : الظباء.

متجردينَ على الجيادِ عَشِيّةً
عُصَباً مُجلَّحَةً بدار ظلامِ [(١)]

وترى عطيةَ ضارباً بفنائِهِ
رِبْقَيْن بَيْنَ حَظَائِرِ الأغنامِ [(٢)]

مُتَقَلِّداً لأبيه كانتْ عِنْدَهُ
أرْباقُ صاحِبِ ثِلَّةٍ وَبِهَامِ [(٣)]

ما مَسَّ مُذْ وَلَدَتْ عَطِيَّةَ أُمُّهُ
كَفّا عطيةَ من عِنَانٍ لِجَامِ [(٤)]

يهجو يزيد بن مسعود بن خالد. فيقول(*):

تَمَنّى ابنُ مسعودٍ لقائي سَفَاهَةً
لَقَدْ قالَ حيناً يومَ ذاكَ و مُنْكَرَا [(٥)]

مَتى تَلْقَ مِنّا عُصْبَةً يا ابنَ خالدٍ
رَبيئَةَ جَيْشٍ أوْ يَقودونَ مِنْسَرَا [(٦)]

تَكُنْ هَدَراً إنْ أدركَتْكَ رِماحُنا
وتُتْرَكَ في غمِّ الغُبارِ مُقَطَّرَا [(٧)]

---

(١) المجلحة: المقدمة.

(٢) عطية: والد جرير. الرّبق: رسن الغنم والماعز.

(٣) الثلة: قطعة من الماشية. بهام: البهائم.

(٤) يقول إنه ما مسَّ منذ ولادته لجام الخيل، أي أنه لم يكن فارساً قط.

(*) الديوان ـ ج ١ ص ٣٢٩ وما بعدها.

(٥) السفاهة: خفة العقل والميل إلى الشر. الحين: هنا الزور.

(٦) ربيئة الجيش: القطعة المقدمة في طليعته. المنسر: قطعة الخيل.

(٧) غم الغبار: شدته. مقطر: مصروع.

مَنَّتْ لَـكَ مِنّـا أنْ تُـلاَقِي عُـصْبَـةً
حِمَـامُ مَنَايَـا قُـدِّرْنَ حينـاً مُقَـدَّرَا[1]

عـلى أعـوجيـاتٍ، كـأنَّ صُـدُورَهَـا
قَنَـا سيجـان مَـاؤُهُ قَـدْ تَحَسَّـرَا[2]

ذَوابِــلَ تُـبْـرَى حُـولُهَـا لِفُحُـولِـهَـا
تَـرَاهُنَّ مِنْ قَـوْدِ المقَـانِبِ ضُمَّـرَا[3]

إذا سَمِعَتْ قَـرْعَ المساجِـلِ نـازعَتْ
أيَـا مِنْهُمْ شَـزْراً مِنَ القيـدِ أيْسـرَا[4]

يَـذُودُ شِـدَادُ القَـومِ بيـنَ فحـولـهـا
بـأشْـطَانِهـا مِنْ رَهْبَـةٍ أنْ تُكَسَّـرَا[5]

وكُـلُّ فَتًى عـارِي الأشَـاجـعِ لاحَـهُ
سَمُـومُ الثَّرَيّـا لَـوْنُـهُ قَـدْ تَغَيَّـرَا[6]

---

(١) منّتْ لك: أي قدر لك. . الحين: الموت.

(٢) الأعوجيات: الخيول المنسوبة إلى أعوج وهو فحل مشهور. سيجان: شجر. تحسر: انحبس وحسر.

(٣) الذوابل: النياق أو الخيل المنحنية الأعناق. تبري: تذوب من شدة الرغبة. الحول: جمع الحائل، الناقة لم تلقح. المقانب: جمع المقنب: قطعة من الخيل.

(٤) المساحل: جمع المسحل، حديد اللجام، الشزر من القيد: اللجام من الجلد المفتول.

(٥) يذود: يمنع ويدفع. الأشطان: جمع الشطن، الحبل.

(٦) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وهي صفة الفروسية. لاحه: لوحه وغيره. السموم: الريح الحارة.

على كُـلِّ مِـذْعَـانِ السُّـرَى رَادِنِيَّـةٍ
يقـودُ وأيٍ غَمْـرَ الجـراءِ مُصَـدَّرَا [1]

شَـديدَ ذنـوبِ المتنِ مُنْغَمِسِ النَّسـا
إذا مـا تلقتـه الـجـراثيم أحْضَـرَا [2]

وكَـمْ مِنْ رَئِيْسٍ غَـادَرَتْـهُ رِمَـاحُنـا
يَمُجّ نجيعـاً مِنْ دَمِ الجـوفِ أحْمَرَا [3]

ونـحنُ صَبَحْـنَـا الحَيَّ يَـوْمَ قُـرَاقِـرٍ
خَميسـاً كـأركـانِ اليمـامـةِ مِـدْسَـرَا [4]

ونـحنُ أجَـزْنَـا يَـوْمَ حَـزْنِ ضَـرِيَّـةٍ
ونحنُ مَنَعْنَـا يَـوْمَ عَيْنَيْـنِ مِنْقَـرَا [5]

ونَـحْنُ حَـدَرْنَـا طَـيِّئـاً عَنْ جبـالهـا
ونحنُ حَـدَرْنَا عن ذُرَى الغـورِ جعفَرَا [6]

---

(١) المذعان: المطيع والمنساق. السُّرى: السير ليلاً. الوأي: السريع من الدواب. غمر الجراء: السريع العدو.

(٢) الذنوب: لحم الظهر. النسا: عرق من الورك إلى الكعب. الجراثيم: الأتربة المجتمعة والمتعالية. أحضر: أسرع.

(٣) يمج: يقذف ويبعث. النجيع: الدم.

(٤) يوم قراقر: يوم ذي قار قرب الكوفة. المدسر: من دسر، طعن.

(٥) يوم حزن ضرية ويوم عنان: من الأيام التي يفاخرون بها.

(٦) يقول: إنهم جعلوا طيئاً تنزح من أمكنتها التي لها في جبالها الحصينة، وهم الذين جعلوا جعفراً ينزعج عن مقامه في ذرى الغور أي أنهم قادرون أن يتصرفوا بمصائر الناس. وأن يحتلوا عليهم حماهم.

بـأرعـنَ جَـرّارٍ تضـيءُ لَـهُ الصُّـوَى
إذا مـا اغتـدى من مَنْـزِلٍ أو تَهَجّـرَا [1]
لـه كـوكبٌ إذا ذَرّتِ الشمسُ واضـحٌ
تـرى فيـه منّـا دارِعِينَ وحُسّـرَا [2]
أبي يَـوْمَ جـاءتْ فـارس بجُنُـودهـا
على حَمَضَى رَدَّ الـرئيسَ المشـوَّرَا [3]
غَـدَا ومسـاحي الخيْـلِ تَقْرَعُ بينهـا
ولَمْ يَـكُ في يومِ الحفـاظِ مُغَمَّرَا [4]
كـأنّ جـذوعَ النخـلِ لـمَّـا غَشَيْنَـهُ
سَـوَابِقُهـا مِـنْ بيـنِ وَرْدٍ وأشْقَـرَا [5]

يرثي الجراح بن عبد الله الحكمي، واستشهد بأذربيجان قتله الخزر [*]:

وقـائمـةٍ قَـامَتْ، فـقـالتْ لِنَـائِـحٍ
تَفِيضُ بِعَيْنَيْـهِ الـدّمُـوعُ السَّـوَاجِمُ [6]

---

(١) الأرعن: الجيش الكثير. الجرار: الجيش له صفوف طويلة. الصوى: جمع صوة وهي حجارة تكون دليلاً على الطرقات للعابرين. اغتدى: ذهب صباحاً. تهجر: سار في الهاجرة.

(٢) يكمل وصف الجيش ويقول إنه يلتمع تحت الشمس كالكواكب من كثرة السلاح، جنوده منهم من يرتدي الدروع ومنهم من يقاتل حاسراً بلا درع.

(٣) يقول إنهم قاتلوا الفرس في يوم ذي قار وقتلوا رئيسهم المرأس عليهم.

(٤) مساحي الخيل: لجمها. المغَمّر: من يلج في غمرات القتال.

(٥) غشينه: سترنه. الورد: من الخيل ما كان أحمر أصفر.

(*) الديوان ـ ج ٢ ـ ص ٤٦٨.

(٦) السواجم: المنهمرة.

لَقَـدْ صَبَـرَ الجَـرّاحُ حتى مَشَتْ بِـهِ
إلى رَحْمَـةِ الله السيـوفُ الصَّـوَارِمُ[1]

فـأصبـحَ مِنَ القَـومِ الـذينَ مُحَمـدٌ
أخُـوهُمْ ومنْ يلحقْ بهمْ فَهْـوَ سَـالِمُ[2]

جُـزُوا بـالسَّـرِيـرَاتِ التي في قُلُوبِهِـمْ
جَـزَاهُمْ بهـا مُحْصِي السَّـرَائِـرِ عـالمُ[3]

إلـى الغـرفـةِ العُلْيَـا رفيقُ محمـدٍ
مُقِيْمـاً ولا منهـا هُـوَ الـدَّهْـرَ رائمُ[4]

لِتَبْـكِ علـى الجـراحِ خَيْـلُ إغـارةٍ
ويَـوْمٌ تُـرَى فيـه النَّجُـومُ التـوائمُ[5]

فَـلِلّهِ أرْضٌ قَـدْ أجَنّـتْ يَـمـيـنَـهُ
وكـان بهـا يُنكَى العَـدُوُّ المُـرَاجِمُ[6]

فَلَوْ تَـعْـلَمُ الأنـعـامُ شيئـاً بَكَـيْـنَـهُ
وكـانَ على الجَراحِ تَبكي البهـائمُ[7]

---

(١) يقول إنه عبر للحرب حتى قُتِلَ وواجه ربّه مستشهداً.

(٢) يقول: إنهم ينجدون ويحمون.

(٣) يقول إنهم حسنوا النوايا وإنهم يجازون بها من علاّم السرائر أي الله.

(٤) يقول إنه يقيم بكنف النبي محمد ﷺ في الغرف العليا أي الجنة.

(٥) يبكي عليه، وتبكي الخيل في اليوم الشديد الذي تشهد فيه النجوم ظهراً.

(٦) يترحم على الأرض التي تضمه وكان بها ينكى الأعداء وينال منهم.

(٧) كل من عليها يبكي على الجراح حتى البهائم.

ومن وجدانياته وهو في سجن خالد بن عبد الله(*):

أَهَاجَ لَكَ الشَّوقَ القَدِيمَ خَيَالُهُ
مَنَازِلُ بَيْنَ المُنْتَضَى وَمُنِيمِ [1]

وَقَدْ حَالَ دُونِي السِّجنُ حتى نسيتُهَا
وأَذْهَلَنِي عَنْ ذِكْرِ كُلِّ حَمِيمِ [2]

عَلى أنّني مِنْ ذِكْرِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ
كَذِي حُمَةٍ يعتَادُ دَاءَ سليمِ [3]

إذا قِيلَ قَدْ ذَلّت له عن حَيَاتِهِ
تُرَاجِعُ مِنْهُ خابلاتِ شَكِيْمِ [4]

إذا ما أتَتْهُ الريحُ مِنْ نَحْوِ أرْضِهَا
فَقُلْ في بَعِيْدِ العائِداتِ سَقيمِ [5]

فإنْ تنكري ما كنتِ قَدْ تعرِفِينَهُ
فما الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ لنا بِذَمِيمِ [6]

(*) الديوان ـ ج ٢ ـ ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(١) يقول إن المنازل أهاجت شوقه بطيف الحبيب.

(٢) يقول إنه سجن ونسي الحبيبة وكل صديق حميم.

(٣) الحمة: السم. السليم: من لدغته الأفعى. يقول إنه من ذكرها كاللديغ الذي يعاني سمّ الأفعى.

(٤) خابلات: المهلكات. الشكيم: الأسد.

يقول إنها أذلته وارتهنت حياته وإنه يعاني منها مثل هلاك من يتعرض للأسد.

(٥) يقول إن الريح إذا نفخت عليه من جهة ديارها فإنها تسقمه وتبقيه بدائه، ولا قبل للعائدات أن يزرنه لأنه ناء بعيد عن أهله.

(٦) أي أنها كانت تلم به وأن بينهما أسراراً يرجو ألاّ تنكرها وتتنكر لها.

لـه يـومُ سَـوْءٍ لـيس يُخـطيء حَـظُّه
ويـومُ تَـلاقـى شَـمْسُـهُ بـنعيـمِ (١)

غزل ومديح بنساء بني مشاجع(*):

وَبِيضٍ تَـرَقّى مِـنْ بنـاتِ مُجـاشِـعٍ
بهنَّ إلى المجـدِ التليـدِ مفـاخِـرُهْ(٢)

بـنـاتِ أبٍ حُـورٍ كـأنَّ حُـمُـولَـهَـا
عليهـا من الـوحشِ الهجـانِ جـآذِرُهْ(٣)

كسـاهنّ مَحْضَ اللونِ سفيانُ واصـطفى
لـهنّ عـتيـقَ البـزِّ إذ جـاء تـاجـرُهْ(٤)

دَعَـتْ لِبَـأَ الـوَسْميَّ حيثُ تَـفَـقَّـأتْ
سَـوَابي الغمـام الغرِّ وأنعقَ مـاطِـرُهْ(٥)

تَـعَـاوَرْنَ مـن أزواجِـهِ وذُكُـورِهِ
وأحْـرَارِهِ حـتـى تَـهَـوّلَ زَاهِـرُهْ(٦)

---

(١) يقول إن الدهر يسيء في يوم، وهو يوم محتوم لا طاقة للمرء بأن ينأى عنه ويفر منه. ويوم سعد وإقبال تشرق عليهم شمسه بالنعيم.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) يفخر بنساء بني مجاشع ويقول إنهن بيض حرائر.

(٣) الحمول: الهوادج. الهجان: خيار كلِّ شيء. الوحش: سفيان بن مجاشع.

(٤) يقول إنهنّ بيض وبياضهنّ صاف، وانهن يرتدين أجمل الثياب من أفضل التجار.

(٥) لبأ الوسمي: أول الربيع. السوابي: جمع السابية، انتفاخ يكون على أنف ولد الشاة ينفقيء عند ولادته، وقد شبه به الغمام المنتفخ بالماء والذي ينهمر به.

(٦) تعورت: ألمت مرة بعد مرة، الأزواج: الرياض الموشاة. الذكور: النبت القاسي. الأحرار: النبت اللين. تهول: تزين.

حِمًى لم يَحُطْ عنـه سريـعٌ ولم يخفْ
نُـويْـرَةَ يسعى بـالشَّياهِينِ طَـائِـرُهْ[1]

فـإنْ تَمْنَعـا الأمثـالَ أو تـطردا بـهـا
عليهـا فَقَـدْ أحمت رمـاحـاً هـواجـرُهْ[2]

يجـولُ من الصحـراء ينفـي عنيقـهـا
لهـا من يَـدِ الجـوزاءِ بـالقَيْظِ نـاجِـرُهْ[3]

لعمـري لَقَـدْ أرعى زُرَارَةَ في الحـمى
صَـرِيفُ اللِّقَـاحِ المستَـظِلِّ وحـازِرُهْ[4]

---

(١) سريع : عامل كـان على العراق وحمـاه. نويـرة: رجل مـازني. الشواهين: الصقور.

(٢) الأمثال والرماح : موضعان.

(٣) العنيق : الإبل لطول عنقها. الناجر : يوم الحر الشديد.

(٤) زرارة: جمّـال كان في البصـرة. الصريف: التصويت. اللقـاح: النيـاق. المستظل : الذي يظلل وطابه. الحازر من اللبن : الحامض.

اسماء المصادر والمراجع

١) ديوان الفرزدق ـ شرح د. إيليا حاوي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٣ .

٢) ديوان الفرزدق ـ تحقيق ـ كرم البستاني ـ دار صادر ـ بيروت .

٣) الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ـ دار الكتب ـ القاهرة .

٤) البيان والتبيين للجاحظ ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٥) جورجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ .

٦) تاريخ الطبري ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ١٩٦٠ .

٧) جمهرة أشعار العرب لأبي الخطاب القرشي ـ القاهرة ـ ١٨٩١ .

٨) خزانة الأدب للبغدادي ـ بولاق ١٩٣٠ .

٩) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، نشر بيغان ليدن ١٩٠٥ .

١٠) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ القاهرة ١٩٤٥ .
١١) ابن سلام ـ طبقات الشعراء ـ ليدن ـ ١٩١٣ .
١٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ بولاق ١٢٩٣ هـ .
١٣) قدامة بن جعفر ـ نقد الشعر ـ بيروت ـ ١٩٥٨ .
١٤) أبو تمام ـ نقائض جرير والأخطل ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٢٢ .

الفهرس